كانو الثقافية

مجلة ثقافية نصف سنوية - تصدرها جائزة يوسف بن أحمد كانو

العدد السادس
ربيع الأول ١٤٣٤هـ
يناير ٢٠١٣م

الدول العربية

على مؤشر الحرية الإقتصادية

ندوة البحث العلمي.. الواقع والتطلعات

مبارك سعد العطوي

فَـقْـرُ النساء: العوامل والاصول دراسة لحالة المرأة الأردنية

د.عبلة راجي الوشاح

عسر القراءة والفهم لدى الأطفال (الديسليكسيا)

د. هدى صباح

بسم الله الرحمن الرحيم

كانو الثقافية

مجلة علمية ثقافية شاملة تأسست عام 1429هـ – 2008م
تصدرها جائزة يوسف بن أحمد كانو بمملكة البحرين
العدد السادس – ربيع الأول 1434هـ – يناير 2013م

المشرف العام
أ.عبدالعزيز بن جاسم كانو

هيئة التحرير

رئيس التحرير
د. سعيد بن عطية أبو عالي

نائب رئيس التحرير
د. عبداللطيف بن جاسم كانو

مسؤول التحرير والعلاقات العامة
أ.مبارك بن سعد العطوي

جميع المراسلات بأسم رئيس التحرير

ص.ب: 1170
المنامة – مملكة البحرين

هاتف
+ 97317226153

فاكس
9731717226154
البريد الإلكتروني
kanooawd@batelco.com.bh

الموقع الإلكتروني
www.ybakanooaward.com

جرافيكس
الرافد للإعلان والعلاقات العامة
+973 39139122

المؤسسة العربية للطباعة والنشر
رقم التسجيل: SYKCO 786

قواعـد النشر

قواعد النشر

- غايتنا المساهمة في تنمية الإبداع والثقافة والتقدم العلمي.
- المجلة ترحب بالبحوث والدراسات في جميع المجالات العلمية والأدبية والاقتصادية.
- وتحتفي أيضاً بالموضوعات المتعلقة بالطب ومجالات التقنية والمعلومات إلى جانب الدراسات المستقبلية.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة توضيحية وليست مرجعاً للحدود الدولية.
- البيانات والإحصاءات تقريبية .
- المجلة لا تلتزم بإعادة المواد التي تتلقاها للنشر.
- ما ينشر يعبر عن رأي الكاتب ولا يعبر عن رأي المجلة.
- يجوز الاقتباس ممّا ينشر شرط الإشارة إلى المجلة ورقم العدد وتاريخ الإصدار، وإلا اعتبر خرقًا لقانون الملكية الفكرية.
- يرسل الكاتب عنوانه كاملاً، وسيرته الذاتية إذا كان يكتب لأول مرة في هذه المجلة.

المجلة ترحب بكل نقد وتوجيه واقتراح

- يسعدنا أن نتلقى رسائلكم بواسطة البريد أو على جهاز اللاقط (الفاكس) أو على البريد الإلكتروني.

وللجميع شكرنا وتقديرنا ،،،

هيئة التحرير

المحتويات

فكر وثقافة

- السلام عليك أيها النبي — 7–12 — د. سعيد بن عطية أبو عالي
- المسكوكات الإسلامية (3–3) — 13–18 — د. عبد اللطيف جاسم كانو
- معركة الحجاب في مصر.. مطبات فكرية غير واعية — 19–24 — د. بسام البطوش
- فأعينوني بقوة ! — 25–28 — د. محمد جميل الحبال

اقتصاد

- الدول العربية على مؤشر الحرية الاقتصادية.. انتصارات أم هزائم؟ — 29–40 — د. أحمد عارف العساف
- كثافة العمالة الأجنبية وأثرها على سياسات التوطين — 41– 56 — أحمد مبارك سالم

قراءة في كتاب

- للإسلام أن يأخذ مكانته في أمريكا كما حدث للكاثوليك ولليهود — 57–60 — عبد القادر الزين

دراسات

- فَـقْـرُ النساء: العوامل والاصول دراسة لحالة المرأة الأردنية — 61–62 — د. عبلة راجي الوشاح
- عسر القراءة والفهم لدى الأطفال(الديسليكسيا) — 63–76 — د. هدى صباح
- السمنة وآثارها الضارة على صحة الجسم — 77–84 — د. أحمد عبد الله ثابت

الأدب

- المَلِكَـــة — 85–87 — محمد عباس علي داوود
- سر السعادة للفتى أوطانه — 88–90 — عيسى القطاوي

إضاءات

- ندوة البحث العلمي.. الواقع والتطلعات — 91–94 — مبارك سعد العطوي

السلام عليك أيها النبي

د. سعيد بن عطية ابو عالي

حفلت الساحة الإعلامية العالمية وحتى السياسية - خلال الشهور الماضية - بالحديث عن موضوع واحد هو الفيلم السيئ في ذاته ومحتواه ومراميه الذي أنتجه مواطن أمريكي بهدف الإساءة إلى نبي الإسلام والمسلمين. والفيلم لم يعرض بدور السينما لا في أمريكا ولا في غيرها من بلدان العالم، وذلك لرداءته الأدبية والفنية الواضحة فيما يخص الحوار بين الممثلين وكذلك الإخراج الفني السينمائي، غير أن صاحب الفيلم عرض منه مقاطع إعلانية على صفحات (اليوتيوب YouTube).

كثير من الممثلين أفادوا بأنهم خدعوا للمشاركة في فيلم بعنوان (محارب الصحراء)

لقد عمَّ الغضب البلاد الإسلامية، وخرجت جماهيرغفيرة محتجة على الفيلم وعلى الجهات الداعمة له - ومع الأسف – حيث اعتمد المحتجون أساليب العنف سواءً بالسباب والشتائم أو بمهاجمة بعض السفارات والبعثات الدبلوماسية الغربية في بعض العواصم الإسلامية، وقتل العشرات جراء مسيرات العنف من باكستان إلى اليمن ومن ليبيا إلى تونس إضافةً إلى قتل السفير الأمريكي في ليبيا وثلاثة من مساعديه الأمريكيين.

إن الغضب مشروع لجميع الناس الذي يشعرون بالمهانة وانتقاص كرامة الإنسان وخاصة إذا كانت الإهانة تلحق الرموز التاريخية، فكيف إذا كان هذا الرمز هو النبي العربي محمد عليه الصلاة والسلام أوغيره من الأنبياء الذي سبقوه. إنني هنا لا أبرر مظاهر العنف للتعبير عن الغضب فهي مظاهر غير دينية ولا حضارية بل إنها مظاهر لا يقرها النبي محمد صلى الله عليه وسلم ولا غيره من الأنبياء السابقين عليهم السلام.

إن الاحتجاج عن طريق حرق أعلام دول أخرى، وحرق سفارات ومدارس أجنبية في بلاد المسلمين أعطى انطباعاً بأن المسلمين متوحشين وانفعاليين ولا يجيدون الحوار.

بل إنهم لا يعيشون عصر الحضارة.. كما أنه منح الفيلم فرصة الدعاية المجانية والانتشار السريع بين الناس.

لقد عمَّ الغموض العالم لفترة ثلاثة أسابيع - تقريباً - بعد نشر الفيلم إذ لم يعثر الإعلاميون والمهتمون على معلومات واضحة عن مخرج ولا عن منتج الفيلم بصفة خاصة. وبعد ذلك بدأت تتسرب بعض المعلومات الناقصة، فهناك من قال إن المنتج شخصية وهمية وإن الذين يقفون وراء الفيلم مجهولون، ثم سمعنا أن شخصاً أمريكياً يدعى سام باسيلي يعمل في مجال العقارات هو منتج الفيلم.

وأخيراً عرفنا أن المنتج للفيلم هو مواطن أمريكي مصري الأصل واسمه نقولا باسيلي، وقد اعتقلته - مؤخراً - شرطة لوس أنجلوس وسيمثل أمام محكمة اتحادية في نفس المدينة، وأن سبب اعتقاله أنه أخلَّ بأحكام قضائية سابقة. وحاول أن يدفع كفالة مالية ليخرج من السجن، ولكن القاضية الاتحادية سوزان سيغيل أمرت ببقائه رهن الاعتقال لأنه: «قد يهرب؛ ولأنه يشكل خطراً على المجتمع». وأفادت مصادر بأن نقولا باسيلي قد أدين في الولايات المتحدة الأمريكية عام 2009م بجريمة احتيال مصرفي وجريمة انتحال صفة شخص آخر، وحكم عليه بالسجن لمدة 21 شهراً، ووضع تحت الرقابة الجنائية لمدة خمس سنوات، وتم حرمانه من استخدام الكمبيوتر

أو أي وسيلة أخرى لدخول الإنترنت إلا بإذن خطي.
وهكذا يكون نقولا باسيلي قد اعتقل لأنه أخلَّ بأحكام سابقة، وسيحاكم في هذا الإطار؛ وهو لن يحاكم على الفيلم ولا على مضمونه؛ لأن النظام الأمريكي يضمن حرية النشاطات الفكرية وقد عبر عن هذه الحرية الرئيس باراك أوباما ضمن خطابه الأخير في الجمعية العامة للأمم المتحدة، وأمام حشد هائل من رؤساء الدول والقادة السياسيين حيث قال: إن الفيلم «لا يمثل إهانة للمسلمين فحسب ولكن للولايات المتحدة الأمريكية نفسها» إلا أن القانون الأمريكي - وهذا ما أعلنه الرئيس أوباما - لا يطال المنتج ولا المخرج حسب قانون «حرية التعبير».
أما مخرج الفيلم فقد كشفت مصادر المعلومات بأنه هو الأمريكي آلن روبرتس وعمره 65 سنة وقد أخرج قبل ذلك أفلاماً إباحية. وكثير من الممثلين أفادوا بأنهم خدعوا إذ تمت دعوتهم للمشاركة في فيلم بعنوان (محارب الصحراء) وأنه يحكي فترة من التاريخ المصري.. وعلى كل حال فإن بعض الممثلين تقدموا بشكاوى ضد نقولا باسيلي الذي خدعهم وركب بعض العبارات على ألسنتهم وهم لم يقولوها مطلقاً لا عن الإسلام ولا عن نبي الإسلام ولا عن المسلمين.
وإذا كان بعض المسلمين اندفعوا لا شعورياً وعشوائياً للدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم، فإن ما جاء في الفيلم لايعفي أحداً منهم ولا يعطي المبرر لأي ردَّ فعل عنيف يؤدي إلى القتل؛ لأن القرآن واضح وصريح بأن: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (سورة المائدة، الآية 32) ولا يبرر الاعتداء على الممتلكات العامة ولا على ممتلكات الأفراد.
نحن المسلمين لا نقبل الإساءة إلى نبينا عليه الصلاة والسلام ولا إلى ديننا؛ والأمر كذلك عندنا بالنسبة للأديان السماوية الأخرى والأنبياء الذين دعوا إليها. ولكن دفاعنا يجب أن ينطلق من محاور عقلانية وهادئة:

أولاً: تقديم الإسلام إلى الآخر على أساس ما يتضمنه من قيم نبيلة تمثل المشترك الإنساني مع الشعوب الأخرى. ويجب أن نركز على قيم العدل والرحمة والمساواة والتسامح التي جاء بها الإسلام لجميع البشر. والإسلام عندما يقرر هذه القيم فإنه يحولها إلى واقع عملي من خلال المسؤولية المشتركة في تطبيقها بين الأفراد والمجتمعات والحكومات. ولذلك فإن كثيراً من غير المسلمين يحبون العيش مع المسلمين حتى يتمتعوا بالحرية والأمن على أنفسهم ودياناتهم وممتلكاتهم. ينبغي أن نركز على بروز ونبوغ العلماء اليهود والمسيحيين الذين نبغوا في ديار المسلمين وفي مدارسهم وجامعاتهم.
ثانياً: إظهار حقيقة أن المسلمين يؤمنون بموسى وعيسى وجميع الأنبياء والرسل عليهم السلام كما يؤمنون بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وسلام على المرسلين﴾ (سورة الصافات، الآية 181) إننا نؤمن بجميع الأنبياء والرسل ابتداءً بسيدنا آدم وانتهاء بسيدنا محمد عليهم السلام أجمعين.
ثالثاً: إقامة المحاضرات، وطباعة الكتب التي تتحدث عن الإعجاز (العلمي) في القرآن والسنة. لقد أرشدنا القرآن وأنبأنا النبي محمد صلى الله عليه وسلم حقائق علمية تتعلق بالإنسان وتكوينه، والحيوان وخلقه، والجنين وحياته في بطن أمه، قبل ألف وأربعمائة سنة. إن نشرنا لعجائب الإعجاز العلمي يثبت أمام غير المسلمين أن الإسلام من عند الله وأن محمداً رسول الله.
رابعاً: أن يتمسك المسلمون بتعاليم الإسلام وخاصةً ما يتعلق بطلب العلم، وإتقان العمل، والإلتزام بالنظام فيما يخص العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وصيانة الأموال العامة، واحترام المرأة فالنساء (شقائق الرجال)، والعطف على الأطفال وخاصة البنات فالرسول أرشدنا بأن من كانت له ابنتان فأحسن تربيتهما (وهذا يشمل الأم والأب) كان مع الرسول صلى الله عليه وسلم في الجنة.

وبالرغم من سوء الفعل بإنتاج الفيلم السيئ، إلا أن فوائد كثيرة عادت علينا أذكر منها:

- انتشار ذكر الإسلام ونبي الإسلام وكذلك المسلمين، في المحافل العالمية، وفي دور العلم مثل الجامعات والمعاهد والمدارس ومراكز البحث العلمي، وفي دور العبادة لدى المسلمين والمسحيين واليهود.
- مبادرة كثير من المسيحيين والمسيحيات إلى الدفاع عن محمد النبي وذلك من خلال المقالات والكتب، وإنتاج أفلام وثائقية، ومقابلات تلفزيونية وإذاعية بلغات متعددة وفي أقطار كثيرة.
- استنكار إنتاج هذا الفيلم السيئ من كثير من قادة العالم في أمريكا وفرنسا وبريطانيا وألمانيا والهند والصين.
- اقتناع الكثيرين بالمبادئ السامية التي دعا إليها الإسلام مما دفع عشرات الآلاف بل مئات الآلاف في أنحاء الدنيا لاعتناق الدين الإسلامي في غضون الأسابيع القليلة الماضية.
- أعطى هذا الفيلم لعقلاء المسلمين ومفكريهم دفعة قوية للانخراط في بناء بلدانهم. أما الإسلام فهو أقوى من أي أناس يناصبونه العداء؛ لأنه دين الحق..

وختاماً، وبهذه المناسبة: فإنني أدعو جميع شبابنا وشاباتنا لخدمة بلادهم باكتساب العلم؛ والإخلاص في العمل؛ والتخطيط للمستقبل مع التمسك بدينهم الذي هو نبراس حياة شامل، وأن يتخذوا من سيرة نبيهم منهجهم في حياتهم، يقتفون أثره.. ويسيرون على دربه، ولايأبهون لقول جاهل ولانعيق حاسد كذاب منافق!

NEIN
ISLAM

PROPHET MUHAMAD
TEACHING
SMILING
ANGRY

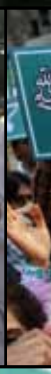

لبّيك
يا رسول الله

صلى الله عليه وسلم

لبيك يا رسول الله

المسكوكات الإسلامية (٣-٣)

د. عبد اللطيف جاسم كانو

بعد سقوط الدولة الأموية في معركة نهر الزاب سنة ١٣٢هـ (٧٤٩م) انتقل حكم الخلافة إلى العراق على يد مؤسس الدولة العباسية أبو العباس عبد الله السفاح. ثم قام الخليفة المنصور من بعده وأنشأ مدينة بغداد في العراق لتكون عاصمة الدولة التي دامت أكثر من خمسمائة عام وحتى سنة ٦٥٦هـ. لقد سكّت العملة والنقود وتم تداولها رسمياً خلال المراحل المختلفة من الخلافة العباسية إلى عهد الخليفة المستكفي في عام ٣٣٤هـ حيث بدأت السلطة الفعلية للخلافة تضمحل وتتقهقر، وذلك بظهور الدويلات ومراكز القوى المختلفة التي أيدت الخليفة بالاسم فقط.

المسكوكات العباسية

وبالمتابعة التاريخية نجد أن منوال الضرب قد تغير وتنوع خلال العصر العباسي حيث أصبح من الممكن والمتبع ان تضرب المسكوكات باسم السلاطين والأمراء والوزراء حتى انه في العصر الذهبي خلال خلافة هارون الرشيد قد سكت العملة بمستويات مختلفة شملت وزيره جعفر البرمكي وولي عهده الأمين، وقد بدأت هيبة الخلافة العباسية تزول بظهور الأمراء البويهيين حوالي عام 322هـ حيث أصبح الخليفة العباسي وكأنه ألعوبة بيد هؤلاء الأمراء ينصبونه ويخلعونه كيفما أرادوا، وأصبح اسم الخليفة مرتبطاً بالدعاء له على المنابر، ونقش إسمه على المسكوكات وبعض المظاهر الشكلية التي تؤيد المظهر دون الحكم الفعلي.

ماهية العملة العباسية

ويلاحظ المؤرخون وعلماء الآثار أن العملة العباسية من الذهب والفضة والنحاس، وأنها لم تتغير تغيراً رئيساً مهماً عن النمط الأموي العربي السابق، وبقيت على ما هي عليه من ناحية الشكل والحجم والمظهر وكذلك بالنسبة للسماكة والوزن، كما أن الخط العربي المجود والمطور قد شكل الأساس الرئيس في صناعة المسكوكات العباسية كما كانت عليه الحال بالنسبة للمسكوكات الأموية، والتغير الوحيد المهم الذي أدخل عليها ارتبط بمضمون الألفاظ والمأثورات وبالخط الجميل المنسق، فقد أكملوا النصوص ونقشوا عبارة (محمد رسول الله) بدلاً من عبارة «الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد» كما أضافوا أسماء كبار الشخصيات، وأسماء ولاة العهد والوزراء على عملات مستقلة أو إلى جانب أسماء الخلفاء. ومن الإضافات الأخرى على المسكوكات عبارات أدخلها الخليفة الأمين مثل: «ربي الله» وكذلك ما أدخله الخليفة المعتمد من تعبير «ذو الوزارتين» أو ما سجله أبو القاسم ابن أمير المؤمنين الذي كتب شعاراً مطولاً على الدينار الذهبي، فضرب على وجه السكة: «القاهر بالله، المنتقم من أعداء الله، لدين الله».

مسكوكات الصلة

لقد ابتدع العباسيون مسكوكات الصلة التي كانت تسك لتخليد مناسبة مهمة، وكانت توزع هذه المسكوكات الخاصة في الأعياد والمناسبات التذكارية، كما أدخل العباسيون العديد من التحسينات والتجويد على العملة الفضية، وقد استعملوها استعمالاً شائعاً في تصريف أمور الدولة المختلفة بالإضافة إلى صرف رواتب الجند وموظفي الدواوين الرسمية، وقد تغير حجم ومقاس الدينار العباسي وأضيفت أسماء مدن السك بعد القرن الثالث الهجري على المسكوكات بما فيها أسماء العاصمة بغداد التي سميت بـ «مدينة السلام» أو مدينة «سر من رأى» عاصمة الخلافة السابقة ما بين 221 إلى 256هـ.

مأثورات المسكوكات العباسية

وقد استغرقت الخلافة العباسية في الحكم قروناً طويلة، وتعددت أنواع المأثورات المختلفة التي ضربت

على الدنانير والدراهم والفلوس حسب المرحلة التي مر فيها العهد العباسي، ولإعطاء القارئ فكرة مبسطة عن المأثورات التي سجلت فإني قد انتخبت ثلاثة خلفاء هم: السفاح، والمتوكل، والناصر لدين الله لتسجيل المأثورات التي ظهرت على الدينار الذهبي في عهدهم، والتي هي في الواقع مشابهة في معناها العام لبقية أنواع العملات الفضية والنحاسية العباسية.

دينار الخليفة العباسي الأول السفاح (١٣٢ – ١٣٦هـ):

الوجه الوسط: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له».

المحيط: «محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله».

الخلف الوسط: «محمد رسول الله».

المحيط: «بسم الله ضرب هذا الدينار سنة اثنتين وثلاثين ومائة».

دينار الخليفة العباسي العاشر المتوكل على الله (٢٣٢ – ٢٤٧هـ):

الوجه الوسط: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له»

الطوق الأول: «بسم الله ضرب هذا الدينار بالبصرة سنة خمسة وثلاثين ومائتين»

الطوق الثاني: «لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله».

الخلف الوسط: «الله محمد رسول الله، المتوكل على الله».

المحيط: «محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون».

دينار الخليفة العباسي الرابع والثلاثين الناصر لدين الله (575 – 622هـ)

الوجه الوسط: الأمام «لا إله إلا الله وحده لا شريك له الناصر لدين الله أمير المؤمنين»

الطوق الأول: «بسم الله ضرب هذا الدينار بمدينة السلام سنة ثمان وست مائة»

الطوق الثاني: «لله الأمر من قبل ومن بعد وبعد يومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله»

الخلف: الوسط: «أحمد الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم»

المحيط: «محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون».

المسكوكات الأندلسية:

لعبت السكة الإسلامية دوراً مهماً في الأندلس بعد الفتح الإسلامي في عام 91هـ حيث جرى تداول العملة الأموية بأنواعها العربية المستقلة خلال الحكم الأموي، أما أول دينار عربي أموي في الأندلس فقد ظهر عام 104هـ. وبعد سقوط الدولة الأموية في الشام قامت الخلافة الأموية في الأندلس على يد عبد الرحمن الداخل سنة 138هـ بسك العملات الذهبية والفضية والنحاسية، وقد كانت في مراحلها الأولى شبيهة بالعملة الأموية في أوجهها المختلفة، بالإضافة إلى أسماء مدن السك، وكانت تستعمل كلمة الأندلس في البداية ثم تحولت إلى أسماء المدن الأندلسية المختلفة: أشبيلية.. قرطبة.. غرناطة.. لشبونة.. طليطلة.. بانسية، وقد ضربت العملة الأندلسية في أكثر من 62 مدينة أسبانية.

تطورات في سك العملة

العملة الأندلسية الأولى التي سكت في أيام عبد الرحمن الداخل حملت نفس المأثورات التي وجدت على العملات التي سكت في العهد الأموي في دمشق، ثم تغيرت المأثورات الموجودة خلف الدينار فكتبت البسملة بدلاً من «الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد».

وبمرور الزمن فقد جودت العملة وأدخلت عليها التحسينات، وغيرت المأثورات، وعدلت المقاسات والأحجام، كما تغير الخط ليصبح فناً رفيعاً متداخلاً في سك العملة، فقد كانت الكتابة العربية بخطوطها الجميلة المختلفة هي أساس العملة الإسلامية وخاصة

في الأندلس، كما أن الخط العربي قد لعب دوراً مهماً في المسكوكات التي تم تبادلها في الأندلس وشمال أفريقيا، وقد سكت عملات فضية على شكل مربعات، كما أن العملات المستديرة قد حليت بمربعات في وسطها ونسقت المأثورات لكي تتناسب مع التغير الجديد.

من المأثورات على العملة

ومن المأثورات التي سجلت على السكة في الأندلس في خلافة عبد الرحمن الثالث المأثورة التالية: «لا إله إلا الله لا شريك له» و«غلب محمد رسول الله بن بهلول»، كما ضربت العبارة التالية «الإمام الناصر لدين الله عبد الرحمن أمير المؤمنين أيده الله» وقد سجل الخليفة هشام ما يلي: «سيف الله الإمام هشام أمير المؤمنين المؤيد بالله» وقد ضرب محمد الثالث المأثورات التالية: «وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم – بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما – الأمير محمد بن أمير المسلمين أبي عبد الله بن نصر – غرناطة – ولا غالب إلا الله» ومن المسكوكات المهمة دينار كبير باسم محمد الرابع ضربت عليه المأثورة التالية: «قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير – بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد – وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم – الأمير عبد الله بن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر ايده الله واسعده – ولا غالب إلا الله».

المسكوكات الفاطمية

تنسب الدولة الفاطمية إلى إبنة النبي فاطمة الزهراء زوج أمير المؤمنين الخليفة الرابع سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقامت في القيروان بتونس وانتشر سلطانها على الشمال الأفريقي كله ثم امتدت حدودها إلى مصر حيث فتحت على يد القائد جوهر الصقلي في عام 358هـ، وأنشأت مدينة القاهرة، وتابعت الفتوحات في فلسطين والشام والحجاز، وقد كان أول خلفائها أبو محمد عبد الله المهدي الذي تولى الخلافة في عام 297هـ وآخر الخلفاء هو العاضد لدين الله الذي توفى في عام 567هـ وانتهت الخلافة الفاطمية بوفاته، وقد تولى حكم الدولة الفاطمية أربعة عشر خليفة كانوا يلقبون بالألقاب الدينية المختلفة.

لقد سكت النقود الفاطمية في مناطق عديدة من العالم الإسلامي في الأمصار التي فتحوها، وقد بدلت المسكوكات العباسية والإخشيدية التي كانت متداولة في القاهرة إلى النقود الجديدة التي سكها الخليفة المعز لدين الله، والتي سميت بالنقود المنصورية نسبة إلى الخليفة الفاطمي المنصور.

المسكوكات الفاطمية اختلفت في تصميمها عن العديد من المسكوكات الإسلامية، فقد تكونت بعض هذه المسكوكات من دوائر مختلفة سجلت فيها الكتابة بشكل دائري محيطة بمركز الدائرة، كما أن النقود قد ضربت على الطراز الشيعي حيث استعمل شعار «علي ولي الله» وكذلك الشعار المطول الذي سجل فيه «وعلي أفضل الوصيين ووزير خير المرسلين» وقد استعملت عبارات عديدة مطولة يرتبط معظمها بالشعارات الشيعية.

وقد سك الفاطميون الدنانير الذهبية التي هي على شكل دوائر تحيطها حلقات من خطوط بارزة بطراز جميل منسق، تدل على الاهتمام وجودة الصنعة بمقاس يتناسب مع المسكوكات التي ظهرت في العهد الأموي والعباسي الأول وهو في حدود 21 مم ووزن يتراوح في حدود 4.80غرام، كما سكت أجزاء ذهبية للدينار فهناك النصف والربع، وقد كان اهتمام الخليفة المعز لدين الله شديداً بالعملة فقد استعملها لبث الشعارات المذهبية فأوجدها بكثرة في الأسواق، وقضى على أي نوع من المنافسة من العملات الذهبية الأخرى، كالدينار العباسي، الذي كان يستعمل في الأعمال التجارية، وذلك بتخفيضها إلى أقل من النصف إذا قورنت بالدينار الفاطمي.

كما سك الفاطميون الدراهم الفاطمية الفضية، وحددوا

قيمتها بالنسبة للدينار الذهبي، وكان كل دينار فاطمي يساوي 15.5 درهم في عهد المعز لدين الله، وتغيرت هذه النسبة بين فترة وأخرى لتتناسب مع الأوضاع المالية حتى أصبح الدينار للدرهم ما يعادل 36 درهماً، وبالإضافة إلى الدينار والدرهم فقد سك الفاطميون كذلك الفلوس النحاسية، كما أنهم قد اتبعوا التقليد العباسي بضرب مسكوكات الصلة التي كانت توزع في المناسبات والأعياد، ولإعطاء القارئ فكرة واضحة عن مأثورات الدينار الفاطمي فقد انتخبت نوعين مختلفين من الدنانير الفاطمية على النحوالتالي:

دينار الخليفة الفاطمي الرابع المعز لدين الله (341 – 365هـ):

الوجه الطوق الأول: «لاإله إلا الله محمد رسول الله»

الطوق الثاني: «محمد خير المرسلين وعلي أفضل الوصيين»

الطوق الثالث: «محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله»

الخلف الطوق الأول: «المعز لدين الله أمير المؤمنين»

الطوق الثاني: «دعاء الإمام معد لتوحيد الإله الصمد»

الطوق الثالث: «بسم الله ضرب هذا الدينار بالمنصورية سنة واحد وستين وثلاثمائة»

دينار الخليفة الفاطمي العاشر أبو علي الآمر بأحكام الله (495 – 525هـ):

الوجه الوسط: «عال/غاية»

الطوق الأول: «لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله».

الطوق الثاني: «محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون».

الخلف الوسط: « الإمام المنصور»

الطوق الأول: «أمير المؤمنين أبو علي الآمر بأحكام الله».

الطوق الثاني: «بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدينار بمصر سنة أربعة وخمسمائة»

خاتمة:

يتضح من هذا المقال والمقالين السابقين له أن النظم الإسلامية التي قامت في دمشق وبغداد والأندلس وشمال أفريقيا والقاهرة سكت العملات الخاصة لتحقيق أهداف مشروعة مثل:

- توثيق وتثبيت وجود كل نظام (خلافة) وذلك إظهاراً للدعوة الإسلامية وتحقيقاً لمسيرتها الحضارية.
- دعم استقلال الخلافة الاقتصادي وتحديد أسعار السلع والحاجات وغيرها نسبة إلى عملة الخلافة نفسها.. مما يعني الاستغناء عن التعامل بأي عملة خارجية.
- توثيق تاريخ ومكان سك العملة بالإشارة إلى اسم الخليفة وأحياناً باسم بعض الولاة والوزراء.
- تثبيت شخصية الدولة الإسلامية من خلال تداول عملتها الأساسية.
- تطوير وتنمية الحالة الاقتصادية للدولة وللأفراد.

معركة الحجاب في مصر.. مطبات فكرية غير واعية

د. بسام البطوش

موقف التيار العلماني:

شغلت الدعوة إلى السفور وخلّع الحجاب، الجزء الأكبر من اهتمام التيار الليبرالي بقضية المرأة، منذ كتب الطهطاوي بكثير من التسامح عن السفور والاختلاط الذي تتمتع به المرأة الباريسية، وباعتبار السفور والاختلاط ليس نقيضاً لعفة النساء.

وقد أبرز علي مبارك في روايته «علم الدين» هذه المسألة بأسلوب حواري بين المستشرق المدافع عن السفور وبين الشيخ الأزهري المدافع عن الحجاب، ويرى الدكتور محمد عمارة «أن صورة المرأة الأوروبية المتحررة كما عرضها، كانت مشرقة، بقدر ما كانت «حجج» الشيخ علم الدين باعثة على النفور!.

وتابعه قاسم أمين في اعتبار التربية وليس الحجاب هي التي يُعوّل عليها في الأخلاق والعفة، إذ أن «العفَّة ملكة في النفس لا ثوب يختفي دونه الجسم». ومع ذلك فهو لم يتجاوز المطالبة بالحجاب الشرعي، مع إبطال عادة ارتداء النساء النقاب أو البرقع. وقد أطنب في تعداد مساوئ «الحجاب» ويقصد «النقاب» بالذات، وشرح أضراره. مؤكداً أنه لا يمنع الفساد. وأنه من بقايا «هيئتنا الاجتماعية الماضية». ولأنه ضار فلا يمكن أن يكون شرعياً، كما عدّه منافياً للحرية الإنسانية، لأنه يعيق المرأة عن ممارسة حقوقها، ونادى بالاختلاط دون خلوة.

هذه هي القاعدة التي تأسس عليها الخطاب الليبرالي في مسألة السفور والحجاب. ووقف عندها إلى حين.

وظل «الخطاب السفوري» - إن جاز التعبير - يتطوّر بشكل تدريجي لجهة التغريب، وتبني المعايير الأوروبية في هذا الميدان. لقد قدّم «عبد الحميد حمدي» رئيس تحرير مجلة «السفور»، رؤية جماعة السفور، أو أيديولوجيا السفور بحسب ما تفهمه فئة هامة في التيار الليبرالي. ولم يخرج فيها عن الحديث عن احترام أحكام الدين، وأن المطلوب إنما هو الانتفاع «بأحكام الدين الخالصة في تحرير المرأة من ربقة العادات الفاسدة». إذاً المطلوب هو إعادة نظر وإعادة تفسير وصولاً إلى فهم جديد لأحكام الدين. كما يُقدّم رؤيته لمفهوم «السفور» اجتماعياً، فهو يعني «ظهور المرأة في مكانتها اللائقة في الحياة باعتبارها مخلوقة لها حقوق طبيعية يجب أن تحصل عليها، ولها وظيفة كبيرة يجب أن تؤديها».

ويجري التركيز في «الخطاب السفوري» على إبراز مثالب الحجاب، وفضائل السفور، ودعوة النساء للثورة على الحجاب «البرقع» بالذات، فهو يولّد سوء الظن بين الرجل والمرأة. وهو يجني على الأدب والفن، لأن الشاعر والفنان «لا يجد الكائن الجميل الذي يصوّره، أو هو لا يشعر به في الناحية الاجتماعية». وهناك دعوة يوجهها علي عبد الرازق إلى المبادرة العملية، ومن خلال الممارسة للتخلص من الحجاب، «فلقد علّمتنا التجربة في مصر أن السفور كبعض مسائل الحياة الأخرى، إنما يكون حلّه عن طريق العمل لا من طريق البحث والجدل»، فهو يدعو إلى العمل وعدم الاكتفاء بالجدل، «إننا قد أصبحنا نعتقد أن من الواجب علينا أن نحول بين الجدل وخصوصاً الديني، وبين شؤون الحياة الاجتماعية العملية، بقدر ما يجب أن نحول بين حركة النهوض في الشرق، وبين كل ما يعوق ذلك النهوض». وهو يعتقد بأن مصر اجتازت طور البحث النظري في مسألة السفور والحجاب إلى طور العمل والتنفيذ، لكن المشكلة - في نظره - التي تواجه المصريين اليوم «إنما هي الوسيلة التي يتدرجون بها إلى السفور الفعلي، تدرجاً لا يكون فيه منافرة بين ذوق الحجاب القديم، وذوق السفور الجديد».

وفي هذه البيئة الفكرية تنامت الدعوة إلى تحطيم كل الحواجز والحجب أمام الاندماج الكامل للمرأة في

الحياة الاجتماعية. لكننا لا نعدم أصواتاً معتدلة تنادي بالوسطية في هذه المسألة.

وهناك من يسعى لدحض «الخطاب السفوري» المعتدل. وينادي بضرورة الاستفادة من تجربة الاختلاط في الغرب. ويزعم أنها لم تهدد الأخلاق العامة، بل إنها زادت في متانة أخلاق الشباب، وقلّلت من النظر إلى المرأة بوصفها جسداً، ومن باب «موضوعة الجنس» فقط، بل إن الفصل بين الجنسين هو أدعى إلى إثارة الشهوات، وفيه الكثير من سوء الظن بأخلاق المرأة والرجل.

ويخرج الدكتور محمود عزمي على الناس ليعلن أن «الاختلاط الصريح» بين الجنسين له من الأهمية ما لتحقيق «التعادل الفكري» بين الرجال والنساء من أهمية، لذلك فإنه لا إمكانية «لإصلاح صحيح للجماعة الشرقية إلا إذا توافر فيها هذان العاملان توافراً شاملاً جريئاً» .

من الواضح أن الخطاب الليبرالي في هذه المسألة قد تابع قاسم أمين في أفكاره، فضمّ أصواتاً معتدلة «توفيقية». لكنه بدأ يعرف أصواتاً متطرفة تنادي بالاختلاط الصريح والكامل. ويظهر أن البعض بدأ يعوّل على «الموقف» العملي وليس مجرد «التنظير» الفكري للمسألة. والمناخ العام أصبح في صالح السلوك السفوري، واستمر الهجوم على الحجاب والحجب، كما جرى الربط بين السفور والتقدم. واعتبار الحجاب سلوكاً متخلّفاً يتنافى مع التقدم والمدنية، ويعطّل قدرات المرأة، وفي موازاة ذلك هناك جهود إعلامية كبيرة لإشاعة ثقافة السفور على الطريقة الغربية الخالصة.

قدم اليسار المصري رؤية تكاد تكون شبيهة بالرؤية الليبرالية في النظر إلى مسألة المرأة والأسرة. وأبدى سلامة موسى إعجاباً شديداً بجهود وأفكار قاسم أمين في هذه المسألة. وأكد أن مرامي قاسم أمين أبعد مما أعلن وإن لم يصرِّح بها، وهي الاقتداء الكامل بسيرة المرأة الغربية، وأن تسير النهضة النسائية في مصر على طريق مثيلتها في الغرب.

أما سلامة موسى فإنه يعتقد بأن تراجع المسلمين الحضاري نجم عن إهمالهم «لشأن عظيم من شؤون الحياة، ألا وهو حياة المرأة التي يُنقِص قيمتها الحجاب ويُضيقها ويحول دون نموها» ، ويتفق مع ما ذهب إليه نقولا حداد إذ أن الحجاب جزء من التقاليد البالية، لكن قائمة «التقاليد البالية» عنده أشمل وأوسع؛ فهي تضم إلى جانب الحجاب، كلاً من النقاب، والعمامة، وتدريس علوم الأزهر.

وهناك اهتمام بتشويه صورة الحجاب من خلال إبراز عيوبه وأضراره بحسب الرؤية اليسارية. وفي مقدمتها أنه يدفع الشباب إلى الزواج بالغربيات، كما أنه «يحول دون سريان ناموس من أهم النواميس الطبيعية وهو الانتخاب الجنسي»، والمقصود هنا أنه يتيح زواج البلهاء مثلاً، لعدم معرفة الخاطب بها معرفة كافية. كما أن الحجاب – في رأيهم – لا يصون الأخلاق العامة، فالفسق في مصر أشد منه في أوروبا. إضافة إلى أنه يحول دون تحقيق الإبداع الأدبي والفني لغياب صورة المرأة عن ذهن المبدع، فهو من أسباب تأخر الأدب والفن أيضاً. والهجمة على الحجاب بحاجة إلى مبررات علمية وصحية، عثر عليها سلامة موسى، وراح يسوق في مجمل مبرراته للدعوة للسفور أسباباً صحية، تؤكد أن الأخذ بالملابس الغربية أنسب صحياً للمرأة. وبناءً عليه فإن نقولا حداد كان قد طالب المرأة أن تكون «أكثر تعقلاً في اختيار الأزياء الصحية والملائمة للعمل والرياضة» .

وانطلاقاً من كل هذا فإن انتصار المرأة على الحجاب هو انتصار على القرون الوسطى وعلى الشرق معاً. كما أن خروج المرأة في مظاهرات ثورة 1919م – في رأي سلامة موسى – «ليس ثورة على الإنجليز وحدهم بل كان ثورة أيضاً على ألف سنة من ظلام الحجاب».

والخطاب اليساري في أمر الحجاب والسفور كشأنه في مسألة المرأة والأسرة عموماً خطاب تغريبي محض، خاصة عندما ينطلق سلامة موسى ليعبر عنه بصراحة ووضوح لا لبس فيه، وها هو يحدد غايات «السفوريين»،

فيقول : «فالدفاع عن السفور إنما هو في الحقيقة دفاع عن التفرنج وتمدين الأمة تمديناً غربياً» .

أما تعامل الخطاب الإسلامي مع قضية المرأة، في إطار الحرص على سلامة البناء الأسري، والحرص على سلامة الأخلاق العامة للمجتمع، والخشية من الفتنة والفساد، والشعور المتنامي بأن هناك مؤامرة تحاك ضد المرأة المسلمة تستهدف إخراجها من البيت لإفسادها، والأسرة، والمجتمع.

وكان الإمام محمد عبده قد قدّم في نهاية القرن التاسع عشر اجتهادات نابعة من جوهر مقاصد الشرع الإسلامي في مسائل الأسرة والمرأة. مستهدفاً تقديم نموذج إسلامي لتحرير المرأة بالإسلام، وليس تحريرها من الإسلام. لكن عدم تقبّل التيار الإسلامي للفكرة، جعل الراية تنتقل إلى الأيدي العلمانية، التي منحت المشروع بعداً تغريبياً، ساهم في إفشاله وجعله بعيداً عن واقع البيئة المصرية، كما دفع الخطاب الإسلامي نحو مزيد من التشدد، اعتقاداً من الإسلاميين بأن هذا يحمي الهوية ويصونها من عاديات التغريب.

ومن هنا فإننا سنلمس تراجعاً شبه كامل وبشكل تدريجي عن مجمل الآراء المستنيرة التي صاغها الأستاذ الإمام.

موقف التيار الإسلامي

لما كان التياران الليبرالي واليساري قد انشغلا طويلاً بالدعوة إلى السفور ومقاومة الحجاب. فإن التيار الإسلامي انشغل أيضاً بهذه القضية، مدافعاً عن الحجاب ومقاوماً للسفور.

والجدل لم يقتصر على الزي حجاباً أو سفوراً فقط، بل امتد ليشمل دور المرأة في المجتمع، ودرجة انخراطها في الحياة العامة.

لقد أبدى الشيخ محمد رشيد رضا عطفاً على دعوة قاسم أمين في كتاب «تحرير المرأة» للاقتصار على الحجاب الشرعي، وجواز كشف المرأة لوجهها وكفيها، كما تعاطف مع دعوته إلى مخالطة النساء للرجال، مع تشديد الشيخ على أن يحدث ذلك دون خلوة. لكن الشيخ رشيد رضا لم يبد الدرجة نفسها من التفهم والتعاطف تجاه كتاب قاسم أمين التالي «المرأة الجديدة»؛ لما لمسه من ميل قاسم أمين للثقافة الغربية، ومغالاته في نقد الحجاب، والدعوة إلى إزالته والتخلص منه، لكنه يبقى متفقاً مع قاسم أمين في ضرورة إصلاح شأن المرأة المصرية.

وهذا بطبيعة الحال لا يمنع الشيخ رشيد رضا من توجيه النقد لواقع ما يُسمى الحجاب في مصر، بخروجه على أصول اللباس الشرعي للمرأة المسلمة، ولكونه لم يعد سوى أحد أشكال «التبرج». ويَعْجَب الشيخ للثورة ضد قاسم أمين الذي لم يطالب سوى بالزي الشرعي، والاختلاط بدون خلوة. لكن الشيخ يرفض فكرة «تحرير المرأة»، لأنها ليست مسترقة لندعو لتحريرها. ولم يفتأ الشيخ ينادي بالحجاب الشرعي، وجواز الاختلاط، وتحريم الخلوة.

ويبقى الخطاب الإسلامي يدور حول هذه المعاني، ويحافظ الشيخ رشيد رضا على مواقفه السابقة، لكنه يستشعر خطر تقليد الكماليين في تركيا، وينبه إلى أن الخوف من هذه النتيجة هو الذي «يحمل أهل الدين من صنف العلماء وغيرهم على إطلاق القول بوجوب كذا من الحجاب وتحريم كذا من السفور مثلاً» .

ومن هنا، فإن الشيخ محمد عبد الله دراز (شيخ علماء دمياط) يقول بإجماع الأئمة على أن بدن المرأة الحرة كله عورة بالنسبة لنظر الأجنبي، إلا الوجه والكفين والقدمين، ما لم تُخشَ فتنة من كشفها، وهكذا، فالكشف مقيد بعدم خشية الفتنة، ويذهب إلى شمول صوت المرأة بمفهوم «العورة» خشية الفتنة أيضاً. وشاركه في هذا الموقف شيخ الإسلام السابق في الدولة العثمانية مصطفى صبري (1869 - 1954م)، محذراً من تحول السفور من كشف الوجه إلى نصف التعرّي، مشيراً إلى ما يحدث على شواطئ مصر، ومتسائلاً هل هذا السفور المطلوب؟ اقتداءً بتركيا الكمالية.

وهكذا استسلم الخطاب الإسلامي لهاجس الخوف من اتساع رقعة السفور التغريبي بمفهومه الشامل، كما يظهر الخطاب الإسلامي «اعتذارياً» يلجأ إلى الدفاع والتبرير، كما في حالة الدفاع عن الحجاب.

ولما كان «الخطاب السفوري» يقدم صورة منفّرة للحجاب، ولوضع المرأة المحجبة. ويعمد إلى الترويج للسفور ورسم أجمل صورة للمرأة السافرة، فإن محمد فريد وجدي كان قد تنبّه لهذه المسألة، فنجده ينبّه إلى أن الحجاب الشرعي لا يتناقض مع الأناقة، وأنه لا مانع من أن تحافظ المرأة على أناقتها وهي تحافظ على حجابها في الوقت نفسه «والواقع أن الصلاح لا يمنع المرأة أن تبلغ من التأنق أقصى ما يحمله معنى الأناقة، وأن تكون من التمسك بالأساليب العصرية على أبعد ما تتوق إليه المرأة المحبة للجديد، ولكنه يمنعها فقط ما أجمعت عليه الشرائع والقوانين والعادات والذوق العام على أنه من المثالب، وهو أن ترمي بهذا التأنق إلى فساد نفسها ونفوس المحيطين بها» .

وإذا كان الشيخ حسن البنا اتخذ منهجاً يقوم على النأي بنفسه عن الجدل الفقهي، والخوض في ميدان الفتوى الشرعية؛ فإن هذا يفسر عزوفه عن الحديث في هذه المسائل، لكنه عندما بدأ بمواصلة إصدار مجلة المنار بعد وفاة صاحبها محمد رشيد رضا، فإنه اضطر للبحث في هذه المسائل ليؤكد بأن الإسلام يرى «في الاختلاط بين المرأة والرجل خطراً محققاً، فهو يباعد بينهما إلا بالزواج، ولهذا فإن المجتمع الإسلامي مجتمع انفرادي لا مجتمع مشترك»، معتبراً الاختلاط «مفسدة»، ومهما تحقق من مصالح عن الاختلاط، فإن درء المفاسد أولى من جلب المنافع، ولذلك فالشيخ يحبذ عكوف النساء في المنازل حتى في الصلاة، مخافة الفتنة، ولأن الاختلاط بضاعة أجنبية لا تمتّ للإسلام بأدنى صلة، وكان لها في حياتنا أسوأ الآثار.

ويتبين مما سبق أن الخطاب الإسلامي كان ميالاً للتشدد في فترة الدراسة، لمواجهة الاجتياح التغريبي، ولإنقاذ ما يمكن إنقاذه وللوقوف في وجه الخطاب التغريبي المتطرف، وكذلك لمواجهة السلوك السفوري على النمط الغربي.

الشيخ محمد رشيد رضا عطفاً على دعوة قاسم أمين

ويمكن ملاحظة درجة من التنوع في الخطاب الإسلامي، فهناك مواقف الشيخ رشيد رضا المتأثرة باجتهادات الأستاذ الإمام، والعازمة على الوفاء لروحه واجتهاداته نوعاً ما، برغم ضغط الواقع، واستفزاز الموجة التغريبية، وهناك مواقف أكثر تشدداً لبعض علماء الأزهر، ولشيخ الإسلام السابق في الدولة العثمانية المتخوف من «استنساخ» التجربة التركية، والمتحفّز لمقاومة أية مؤشرات فكرية وفقهية قد يستفيد منها دعاة العلمانية لتبرير دعاواهم، محبذاً التشدد أخذاً بمبدأ «سد الذرائع».

استسلم الخطاب الإسلامي لهاجس الخوف من اتساع رقعة السفور التغريبي

وهكذا تضيع كل الفرص لبلورة خطاب إسلامي مستقر، يعالج مشكلات المرأة والأسرة في ضوء مقاصد الشرع، وروح العصر، بعيداً عن الاستلاب أو الانغلاق، وبعيداً عن أجواء الفكر السجالي، أو ردات الفعل لجهة التميع أو التكلس.

استنساخ التجربة التركية متحفّزة لمقاومة أية مؤشرات فكرية

د. محمد جميل الحبال

فأعينوني بقوة !

الحمد للّه والصلاة والسلام على رسول اللّه وعلى آله وصحبه ومن والاه...وبعد:
قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يوسف: 111
فالباري عز وجل عندما يسرد لنا قصص القرآن فهي عبرة وهداية وتوجيه وارشاد (هدى ورحمة لقوم يؤمنون) للإتعاظ والاتباع لان الصراع بين الحق و الباطل والايمان والكفر قائم الى يوم القيامة وان اختلف الزمان والمكان والاشخاص.

وقصة ذو القرنين التي ذكرها الله في سورة الكهف فيها من الفوائد والعبر والعظات الشيئ الكثير والذي يهمنا في هذا المقام الاحداث التي ذكرها القرآن الكريم بخصوص القوم الذين وجدهم في منطقة بين السدين في قوله تعالى (حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا) الكهف: 93 (وذلك لعجمة السنتهم واستعجام اذهانهم وقلوبهم) كما جاء في تفسير (تيسيرالكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) لعبد الرحمن السعدي. ص 560

إذ أعطى الله ذا القرنين من الأسباب العلمية والفكرية والمواهب المعرفية والتقنيات المتطورة ما فقه به ألسنة القوم وفهمهم وما يريدون حيث قال الله عز وجل على لسانهم: (قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا) الكهف: 94.

وكانوا يتعرضون لغزو هؤلاء المعتدين بالقتل واخذ الاموال وغير ذلك من الاعتداءات والانتهاكات فطلبوا منه عملية انقاذية لبناء السد الذي يمنع عنهم المعتدين ويقيهم من هجماتهم وذلك لما رأوا فيه من الامكانيات والمواهب والصلاح ما يؤهله للقيام بهذا العمل لقاء اعطائه مبلغا من المال (فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا) الكهف: 94

وهذا يدل أنه كانت عندهم الامكانية المادية والاموال ولكنهم كانوا يفتقرون الى الامكانات العلمية والفكرية وروح الابتكار والمبادرة والعمل الجماعي!

وكلمة (خرجا) تعني: جعلاً ومكافأة والتي رفضها ذو القرنين حيث لم يكن ذا طمع ورغبة في الدنيا بل قصده الاصلاح والدفاع عن المظلومين والمستضعفين وهدايتهم الى الدين الحق . لذلك فقد وجدوا في هذا الرجل المؤمن ضالتهم ومبتغاهم ، لذلك: (قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا) الكهف: 95.

أي أنه رفض أخذ الاموال وطلب المعونة من الله عز وجل والتمكين له بتنفيذ مطلبهم وبالشكل الافضل والاقوى وذلك ببناء الردم بدل السد الذي طلبوه! حيث ان الردم أحصن وأقوى من السد للدفاع والحماية ! ولكن بشرط واضح وصريح بقوله: (فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ) أي أن يدخلهم ويطلب مشاركتهم في هذه العملية الدفاعية الانقاذية لتخليصهم من العدوان المستمر ولم يقل لهم اذهبوا الى المعابد وادعوا ربكم ليخلصكم وينقذكم رغم ما نعرفه عن أهمية الدعاء ولكنه في هذا الموقف والظرف وجههم الى العمل الجماعي المتواصل حسب الخطة العملية التي وضعها لهم لإقامة هذا الردم على الأسس العلمية والمعرفية الدقيقة التي وهبه الله اياها بقوله عز وجل: (إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا) الكهف: 84

نقول أنه دمجهم واشركهم وجعلهم يعملون كفريق واحد في تنفيذ هذا المشروع الدفاعي الانقاذي وعلى أسس علمية غاية في الدقة بقوله عز وجل : (آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا) الكهف :96

ففي هذه الآية الواحدة أعلاه ثلاثة أوامر بينت بإيجاز بليغ التقنية العالية التي طبقها ذو القرنين في اقامة هذا الردم (آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ) و (قَالَ انفُخُوا) و (آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا) إذ أن الخطط القويمة اذا لم تنفذ او تطبق واقعيا بوساطة الايدي العاملة المتعاونة فسوف لن يتحقق لها النجاح فالعبرة بالتنفيذ والتطبيق وليس بالكلام او الكتابة النظرية.

أن تضافر العقل المفكر والخطة المحكمة والمال والمواد الاولية والايدي العاملة المتعاونة كلها توصل الى نجاح المشروع (أي مشروع كان). إن هذه العوامل تركز على القياده الحكيمه والايدي العاملة التي كانت معطلة ومشلولة فكلما اجتمعت وأخذت الى الاتجاه الصحيح أعقبتا نتائج باهرة وفادت إلى صلاح الفرد والمجتمع. إن الروم الذي أقامه ذو القرنين مثل خطاً دفاعياً وسداً منيعاً لم يستطع المعتدون (يأجوج ومأجوج) عبوره أو أختراقه قال تعالى: (فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا) الكهف: 97

أقول بعد هذا الاستعراض السريع والمختصر لهذه القصة القرآنية:

أن الامة الاسلامية اليوم تتعرض لهذه الهجمات والاعتداءات والاحتلالات من قبل أعدائها المعادين لعقيدتها و الطامعين بخيراتها من الصهاينة المحتلين والمستعمرين الحاقدين. رغم ما لدى هذه الامة من الامكانات المادية والثروات الطبيعية والبشرية فضلا عن موقعها الجغرافي المتميز في هذا العالم!

ان فكرة المنشآت الدفاعية ضرورية لكل الشعوب وبخاصة المستهدفة كأمتنا ، واذا لم تتوفر الامكانات العلمية التخصصية في الأمة وهذا تقصير فيجب الاستفادة من خبرات الآخرين عند الحاجة كما فعل القوم .

ان هذا الرجل الصالح (ذو القرنين) كان من أهل الاختصاص المهني العالي فعنده الفكرة المطورة وهي الردم وعنده المهارة الهندسية في التنفيذ، وهذا مايجب توافره في الأمة المؤمنة بالله، الجامعة بين قيم الايمان والمهارات العلمية في كل التخصصات ، حيث لاتعارض في ديننا بين العلم والايمان.

ذو القرنين كان رجلا صالحا نصر الضعفاء وتعاون معهم على رد اعتداء (المفسدين في الأرض) مما يوحي بوجوب قيام حلف بين المستضعفين مؤمنين وغير مؤمنين لرد عدوان المفسدين في الأرض الذين لاتخلو الأرض منهم في كل زمان .

كذلك هنا تظهر العلاقة بين النهضة والحكم الصالح القائم على العدل ، وذو القرنين كان كذلك فهو حاكم عادل ومن أهل الاختصاص العلمي المتقدم . فقد آتاه الله من كل شيء سببا .

ومع ماتمتع به ذو القرنين من القوة السياسية والعلمية وهذا الانجاز الضخم في بناء الردم الاأن هذه القوة لم تطغه ولم تجعله يتكبر في الأرض كعادة الأقوياء الجبارين المفسدين

(يأجوج ومأجوج) في القديم والحديث، وانما أحال كل ملكاته وعلمه وقوته الى واهبها مولاه سبحانه وتعالى فبقي في دائرة العبودية لربه سبحانه وتعالى: (قال هذا رحمة من ربي) الكهف: 98.

فأمتنا اليوم هي في أمس الحاجة الى اقامة مثل هذا (الردم) الدفاعي لصد هذا العدوان المتواصل وانقاذ ما يمكن انقاذه من امثال هؤلاء (يأجوج ومأجوج العصر الحديث)!

وهذا من الممكن تحقيقه عن طريق التعاون بين المخلصين وعلى كافة المستويات الرسمية والشعبية والاخذ بوسائل العلم والتكنولوجيا وتنشئة الجيل على الايمان والاخلاق.وهذا ما نقصده بالردم اذ نقوم مجتمعين ومتعاونين بردم هذا الفراغ العلمي والمعرفي الذي بوساطته تنهض به الشعوب وتتقدم به الامم وتدافع عن نفسها وتحمي ابناءها وعرضها وارضها.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل!

الدول العربية على مؤشر الحرية الاقتصادية.. انتصارات أم هزائم؟

د. أحمد عارف العساف

أهم ما تعنى به البشرية اليوم المسألة الاقتصادية فهي تتبوأ مكان الصدارة في قائمة اهتماماتها، ويرجع ذلك إلى:

– الدافع الفطري الذي أودعه اللّه في نفس كل إنسان، من حب المال والسعي إلى جمع المزيد منه للتمتع والتلذذ، والتباهي به.

– طغيان النزعة المادية على معظم البشر أفراداً وأمماً، من جرّاء الثورة الصناعية الحديثة، حيث نشط الناس لجمع الثروات، وضاعفوا من سعيهم ونشاطهم وتنافسهم في الحقل الاقتصادي.

ولذلك وجد في ميدان هذا التنافس من لم يحالفه الحظ، ووقع في براثن الفقر والحرمان والبؤس والشقاء، فكانت الثورة الصناعية ذات أثرين متناقضين، سعد بها أناس وشقي بها آخرون.

ولطالما افتخر الغرب الرأسمالي بالحرية الاقتصادية وسياسات التحرير الاقتصادي التي حاول أن يفرضها على جميع دول العالم، متجاهلاً رؤية ميلتون فريدمان – والذي يعتبر رائد النظرية النقدية المؤسسية للاقتصاد النقدي الحديث للحرية الاقتصادية ورفاهية المجتمع – حيث وضع أسس ومعايير محددة لقياس الحرية الاقتصادية وربطها بالرفاهية في المجتمع وتصنيف دول العالم وفقاً لذلك القياس، إلا أن هذه المعايير سرعان ما حكم عليها بالإعدام من قبل الغرب، وظهر ذلك جلياً في تعامل الغرب الرأسمالي للأزمة المالية العالمية الحديثة، وأساليب معالجتها التي تنتهك بشكل فاضح تلك المعايير، ابتداء من الإنفاق الحكومي والضرائب والتشريعات، وحرية أسواق المال وحركة رؤوس الأموال، وحرية التبادل التجاري عبر الحمائية، وأسس الائتمان وأسواق العمل، وشروط الدخول إلى الأسواق. ماذا تبقى إذن من الحرية الاقتصادية وفقاً لنظرية ميلتون فريدمان؟ هذا يقودنا لإثارة تساؤلات حول نهائية النظريات الاقتصادية الغربية، وضرورة مراجعة مفاهيمها والقناعات المكونة حولها.

وبالتوازي وفي نهاية القرن الماضي بدأ يتلاشى المفهوم القائل بأن رفاه الإنسان إنما يتحقق بقدر ما يحصل عليه من الثروة باعتباره محور السعادة والتقدم. وذلك بعد أن اتضح أن الثراء وحده ليس الشرط الوحيد لتحقيق أهداف المجتمع، هذا فضلاً عن أن حاجات الإنسان ليست كلها حاجات مادية، فالأمن والعلم والثقافة والحفاظ على البيئة والعنف وغيرها كلها ليست حاجات مادية بحتة. وتمخض عن ذلك ظهور مفهوم « التنمية البشرية » الذي حظي بمكانة مميزة في الفكر التنموي عبر أدبيات الأمم المتحدة الإنمائي عام 1995م. إلا أن ذلك لم يثن الاقتصاديين من الاعتقاد بأن الثروة تعتبر المحدد الأساس للتنمية البشرية، وأن هذه الثروة يمكن الحصول عليها من خلال السعي نحو تحسين القدرة التنافسية. حيث تتنافس الأمم من أجل رفع مستوى الازدهار المعيشي لأفرادها. ولكن السؤال المطروح هو كيف يقاس مستوى الازدهار لدى أي دولة من الدول ؟

مفهوم التنافسية ومؤشرات قياس القدرة:

تكمن أهمية التنافسية في الاستفادة من المميزات التي يوفرها الاقتصاد العالمي والتقليل من سلبياته، ويشير تقرير التنافسية العالمي إلى أن الدول الصغيرة أكثر قدرةعلى الاستفادة من مفهوم التنافسية من الدول الكبيرة. حيث تعطي التنافسية شركات الدول الصغيرة فرصة الخروج من محدودية السوق الصغير إلى رحابة

السوق العالمي (المنتدى الاقتصادي العالمي – 1999م) لأن الدول النامية أصبحت مجبرة على مواجهة هذا النظام، بصفته أحد تحديات القرن الواحد والعشرين. ويتداخل مفهوم التنافسية مع عدة مفاهيم أخرى، من بينها النمو والتنمية الاقتصادية وازدهار الدول. إضافة إلى عامل مهم ألا وهو ديناميكية التغير المستمر لمفهوم التنافسية، ففي بداية السبعينات كانت ترتبط بالتجارة الخارجية ثم ارتبطت بالسياسة التكنولوجية للدول، وحالياً تنافسية الدول تعني مدى قدرتها على رفع مستويات معيشة مواطنيها. وفيما يلي عرض موجز عنها:

تعريف التنافسية حسب المؤسسات:

يتمحور تعريف التنافسية للشركات حول قدرتها على تلبية رغبات المستهلكين المختلفة، وذلك بتوفير سلع وخدمات ذات نوعية جيدة تستطيع من خلالها النفاذ إلى الأسواق الدولية، فالتعريف البريطاني للتنافسية ينص على أنها : «القدرة على إنتاج السلع والخدمات بالنوعية الجيدة، والسعر المناسب، وهناك تعريف يقول بأنها «تعني القدرة على تزويد المستهلك بمنتجات وخدمات بشكل أكثر كفاءة وفعالية من المنافسين الآخرين في السوق الدولية، مما يعني نجاحاً مستمراً لهذه المؤسسة على الصعيد العالمي في ظل غياب الدعم والحماية من قبل الحكومة، ويتم ذلك من خلال رفع إنتاجية عوامل الإنتاج الموظفة في العملية الإنتاجية (العمل ورأس المال والتكنولوجيا) (عدنان، 2001م).

تعريف التنافسية حسب قطاع النشاط:

تعني التنافسية لقطاع ما، قدرة المؤسسات المنتمية لنفس القطاع الصناعي في دولة ما على تحقيق نجاح مستمر في الأسواق الدولية دون الاعتماد على الدعم والحماية الحكومية، وهذا ما يؤدي إلى تميز تلك الدولة في هذه الصناعة.

تعريف التنافسية على مستوى الدول:

اهتم الاقتصاديون والمنظمات والهيئات الدولية بتعريف التنافسية على مستوى الدول وسنتطرق هنا لأهم هذه التعاريف:

تعريف المجلس الأمريكي للسياسة التنافسية:

يعرف المجلس الأمريكي التنافسية على أنها «قدرة الدول على إنتاج سلع وخدمات تنافس في الأسواق العالمية، وفي نفس الوقت تحقق مستويات معيشة مطردة في الأجل الطويل» (طارق، 2002م).

تعريف المجلس الأوروبي ببرشلونة:

عرف المجلس الأوربي في اجتماع له ببرشلونة سنة 2000م تنافسية الأمة على أنها «القدرة على التحسين الدائم لمستوى المعيشة لمواطنيها، وتوفير مستوى تشغيل عال وتماسك اجتماعي، وهي تغطي مجالاً واسعاً، وتخص كل السياسة الاقتصادية» (Michele، 2003).

تعريف منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OCDE):

عرفت منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OCDE) التنافسية على أنها: «المدى الذي من خلاله تنتج الدولة وفي ظل شروط السوق الحرة والعادلة، منتجات وخدمات تنافس في الأسواق العالمية، وفي نفس الوقت يتم تحقيق زيادة الدخل الحقيقي لأفرادها في الأجل الطويل» (طارق، 2002م).

وتعرف (OCDE) التنافسية الدولية بأنها « القدرة على إنتاج السلع والخدمات التي تواجه اختبار المزاحمة الخارجية في الوقت الذي تحافظ على توسيع الدخل المحلي الحقيقي «، كما يمكن تعريف التنافسية الدولية بأنها قدرة البلد على زيادة حصصها في الأسواق المحلية والدولية.

جدول رقم (١) ملخص لمؤشرات قياس تنافسية الدول

الطريقة	عدد الدول	المرتبة الأولى	السنة	المؤشر	الهيئة
مؤشر مركب يتكون من عشرات المقاييس التي تقيس شروط التنافسية للمؤسسة في دولة ما (تنظيم المؤسسة، بيئة الأعمال).	٩٣	فلندا	٢٠٠٣	مؤشر تنافسية التجارة	المنتدى الاقتصادي العالمي WEF
نتيجة لسرد آراء متخذي القرار الخاص حول صورة دولة ما.	٦٤	الصين	٢٠٠٣	المؤشر السري	AT Kearney
مؤشر مركب يتكون من عشرات مقاييس جاذبية دولة ما للاستثمارات الأجنبية.	١٤٠	USA	٢٠٠٣	FDI potential ondex	تقرير الاستثمار العالمي
مؤشر مركب يتكون من عشرات المقاييس التي تقيس درجة انفتاح دولة ما للتدفقات من كل نوع (تجارة، رؤوس أموال، الأفكار، التكنولوجيا).	٦٢	إيرلندا	٢٠٠٤	دليل العولمة	AT Kearney
مؤشر مركب يتكون من بضعة مقاييس تخص الصحة، التعليم والدخل حسب الفرد.	١٧٥	النرويج	٢٠٠٣	مؤشرة التنمية البشرية	منظمة الأمم المتحدة UN
مؤشر مركب يتكون من عشرات المقاييس التي تقيس العوامل الكلية للنمو (البيئة الكلية للاقتصاد، السياسة، التكنولوجيا	١٠٢	فلندا	٢٠٠٣	GCL	المنتدى الاقتصادي العالمي WEF
مؤشرة مركب مكون من ٢٠ مؤشر كمي للتنافسية (النتائج الاقتصادية الكلية، الهياكل القاعدية، التكنولوجيا، الإدارة)	٥٢	USA	٢٠٠٤	مؤشرة التنافسية الإجمالية	المعهد الدولي لتنمية الإدارة IMD
متوسط على ثلاث سنوات (١٩٩٩ – ٢٠٠١) لتدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر الداخلة ومقارنتها بالناتج المحلي الصافي	١٤٠	بلجيكا ولكسمبورغ	٢٠٠٣	Economic Freedom Index	Heritage Founda–tion

Source : Fabric hatem, " Les indicator comparatives de comparative et d'attractivite: une rapid revue de literature", AFII.

تعريف بعض الاقتصاديين:

يرى Arlington بأن تعريف التنافسية لأمة ما هو قدرتها على توليد الموارد اللازمة لمواجهة الحاجات الوطنية، وهذا التعريف مكافئ لتعريف تبناه Scott and Lodge وهو «إن التنافسية لبلد ما هي قدرته على إيجاد وإنتاج وتوزيع المنتجات أو الخدمات في التجارة الدولية بينما يكسب عوائد متزايدة لموارده».

مؤشرات قياس تنافسية الدول:

تنشر العديد من المنظمات والهيئات الدولية (المعهد الدولي لتنمية الإدارة IMD، المنتدى الاقتصادي العالمي WEF، منظمة الأمم المتحدة UN، AT Kearney) تقارير سنوية تتضمن مؤشرات تهدف إلى تصنيف دول العالم بدلالة معايير مختلفة مثل التنافسية، التطور البشري، الحرية الاقتصادية، تكلفة الأعمال... إلخ. وقد قام «فابريك هاتم» بتلخيص معظم هذه التقارير ومؤشراتها في جدول رقم (1) يبين فيه تعداد الدول التي يخصها كل تقرير، وطريقة إعداد هذه المؤشرات. وسنتناول في هذه الدراسة مؤشر الحرية الاقتصادية باعتباره من أهم هذه المؤشرات وأقلها انتقاداً من قبل الخبراء الاقتصاديين، ومن ثم تقييم الدول العربية وفق هذا المؤشر.

مؤشر الحرية الاقتصادية (Economic Freedom Index)

يعتبر تقرير مؤشر الحرية الاقتصادية واحداً من أهم النشاطات البحثية التي تصدر عن معهد هيرتاج وصحيفة وال ستريت جورنال منذ عام 1995م، كونه يستخدم كأداة لقياس مدى تدخل الدول في الاقتصاد.

المنهجية المتبعة في تصنيف الدول المشاركة في هذا التقرير: يستند التقرير في تحليله لمؤشر الحرية الاقتصادية للدول المشاركة فيه والبالغة 161 دولة إلى عشرة عوامل هي:

السياسة التجارية (Trade Policy):

ويقاس هذا المؤشر من خلال المتغيرات الفرعية التالية: معدل التعريفة الجمركية المرجح، مدى وجود الحواجز غير الجمركية، والفساد في الخدمات الجمركية.

العبء المالي للحكومة (Fiscal Burden): ويقاس هذا المؤشر من خلال المتغيرات الفرعية التالية: الهيكل الضريبي للأفراد والشركات، والإنفاق الحكومي كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي.

درجة تدخل الحكومة (government intervention):

ويقاس هذا المؤشر من خلال المتغيرات الفرعية التالية: الاستهلاك الحكومي كنسبة من حجم الاقتصاد، الملكية الحكومية للأعمال والصناعات، الناتج الاقتصادي المتأتي من الحكومة، وحصة عائدات الحكومة من الشركات المملوكة للدولة.

السياسة النقدية (Monetary policy):

ويقاس هذا المؤشر من خلال المتغير الفرعي التالي: معدل التضخم المرجح للفترة (1992م – 2001م).

- **الاستثمار الأجنبي** (Foreign investment):

ويقاس هذا المؤشر من خلال المتغيرات الفرعية التالية: القيود على الملكية الأجنبية للأعمال، القيود على الملكية الأجنبية للأراضي، المعاملة بالمساواة بحكم القانون لكل من الشركات الأجنبية والمحلية، القيود على تحويل الأرباح للخارج، ومدى توفر التمويل المحلي للشركات الأجنبية.

وضع القطاع المصرفي والتمويل (finance /banking):

ويقاس هذا المؤشر من خلال المتغيرات الفرعية التالية: ملكية الحكومة للبنوك، مدى وجود القيود على إمكانية فتح فروع للبنوك الأجنبية، الأنظمة الحكومية، ومدى

الحرية في تقديم كافة أشكال الخدمات المالية.

مستوى الأجور والأسعار (prices /wages):

ويقاس هذا المؤشر من خلال المتغيرات الفرعية التالية: قوانين الحد الأدنى للأجور، الدور المعطى للحكومة في وضع الأجور، ومدى تحديد الأسعار من قبل الحكومة.

حقوق الملكية (Property Rights):

ويقاس هذا المؤشر من خلال المتغيرات الفرعية التالية : مدى ضمان وحماية الملكية الخاصة قانونياً، استقلالية النظام القضائي عن التأثير الحكومي، فساد القضاء، والتأخير في إصدار الأحكام القضائية.

التشريعات والإجراءات (Regulation):

ويقاس هذا المؤشر من خلال المتغيرات الفرعية التالية: متطلبات الترخيص لمزاولة الأعمال، مدى سهولة الحصول على رخصة لمزاولة الأعمال، البيروقراطية، قوانين وأنظمة العمل، والأنظمة الخاصة بالبيئة وحماية المستهلك وسلامة العامل.

أنشطة السوق السوداء (black market):

ويقاس هذا المؤشر من خلال المتغيرات الفرعية التالية : مدى انتشار التهريب، مدى وجود القرصنة في مجال حقوق الملكية الفكرية، الإنتاج الزراعي المطروح في السوق السوداء، الإنتاج من الصناعات التحويلية المطروح في السوق السوداء، خدمات النقل المطروحة في السوق السوداء، والعمالة المعروضة.

ويتم منح أوزان متساوية للعوامل العشرة السابقة الذكر، ومن ثم يحسب مؤشر الحرية الاقتصادية بأخذ متوسط هذه المؤشرات وفق مقياس رقمي يتراوح ما بين (1 إلى 5) بحيث تدل الفئة الرقمية:

1- 1.95 حرية اقتصادية كاملة.

2- 2.95 حرية اقتصادية شبه كاملة.

3- 3.95 حرية اقتصادية ضعيفة.

4- 5 حرية اقتصادية معدومة.

إلا أن هذه العوامل والمكونات قد أجري عليها بعض التعديلات؛ لتصبح على النحو الآتي:

مقياس حرية الأعمال:

ويتمثل في القدرة على إنشاء وممارسة وإنهاء مشروع اقتصادي معين بسرعة وسهولة، حيث تعد القواعد والإجراءات المرهقة والمطولة بمثابة قيد ضار بحرية ممارسة النشاط الاقتصادي الخاص.

مقياس حرية التجارة:

وهو عبارة عن مقياس مركب حول غياب أية قيود جمركية أو غير جمركية من شأنها أن تؤثر على الواردات والصادرات من السلع والخدمات.

مقياس الحرية النقدية:

ويشتمل على مقياس لاستقرار الأسعار مع تقدير القيود المفروضة، حيث إن للتضخم وللقيود على الأسعار آثار تشويهية على نشاط السوق.

مقياس التحرر من الحكومة:

ويتضمن هذا المقياس كل النفقات الحكومية بما فيها الاستهلاك الحكومي، والتحويلات، والمشروعات المملوكة للدولة.

مقياس الحرية المالية:

ويستخدم لقياس مدى وطأة الحكومة أو العبء الحكومي من ناحية الإيرادات، حيث يشتمل على العبء الضريبي بالنظر إلى نسبة الضريبة الأعلى إلى الدخل، إضافة إلى حجم الإيرادات الضريبية كنسبة من الدخل.

مقياس حقوق الملكية:

وهو بمثابة مقياس لمدى قدرة الأفراد على مواكبة

الملكية الخاصة، والتي يتم صيانتها وحمايتها من قبل الدولة من خلال تطبيق قوانين واضحة.

مقياس حرية الاستثمار:

وهو معيار لتعيين مدى حرية تدفق رأس المال، لا سيّما رأس المال الأجنبي.

مقياس الحرية التمويلية:

وهو معيار للأمان المصرفي، إضافة إلى الاستقلال عن الرقابة الحكومية، فملكية الدولة للمصارف والمؤسسات المالية الأخرى مثل الأسواق المالية والتأمين عبء يقلل من الكفاءة؛ كما أن التفضيلات السياسية لا مكان لها في سوق رأس المال الحر.

مقياس التحرر من الفساد:

وهو مؤسس على بيانات كمية تمكن من إدراك الفساد أو الإحساس به في بيئة الأعمال، بما فيها مستويات الفساد الإداري، والقضائي، والقانوني في الحكومة.

مقياس حرية العمل:

وهو معيار مركب لقياس مدى قدرة العمال ورجال الأعمال على التفاعل دون أية قيود من قبل الدولة.

وتعطي هذه المقاييس وزناً ترجيحياً متكافئاً ضمن مؤشر الحرية الاقتصادية، وذلك لضمان عدم تحيز الترتيب الكلي باتجاه عنصر معين أو سياسة معينة وذلك على النحو الآتي:

80 – 100 : حرية اقتصادية كاملة (Free).

70 – 79.9 : حرية اقتصادية شبه كاملة (Mostly Free).

60 – 69.9 : حرية اقتصادية متوسطة (Moderately).

50– 59.9 : حرية اقتصادية ضعيفة (Mostly un Free).

0–49.9: حرية اقتصادية معدومة (Repressed).

ترتيب الدول العربية ضمن مؤشر الحرية

الاقتصادية لعام 2011م:

جاءت البحرين - وفقاً لتقرير درجة الحرية الاقتصادية - من ضمن المراكز العشرة الأولى في المؤشر الذي يضم (183) دولة لعام 2011م، وعلى بعد موقع واحد خلف الولايات المتحدة وستة مواقع أمام المملكة المتحدة. وبالرجوع للتقرير التي دأبت على إصداره (Heritage Foundation) بالتعاون مع وول ستريت جورنال، نجد أن البحرين هي الدولة الوحيدة التي استمرت على قائمة العشرين الأوائل منذ انطلاق التقرير عام 1995م. ويرجع السبب في تصدر البحرين هذه المكانة في التقرير إلى حصولها على درجات متقدمة في العوامل العشرة المكونة لمؤشر الحرية الاقتصادية للعام 2011م. فقد حصلت على (99.8) نقطة لحرية المادة و (97) نقطة لحرية العمل و (82.6) نقطة لحرية التجارة و (80) نقطة لكل من دور الحكومة والحرية المصرفية و (75) نقطة لحرية الاستثمار و (74) نقطة للحرية النقدية - كما يظهر في الجدول (3) - هذا الإنجاز يعكس النجاح في الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية وسياسات مالية واقتصادية قوية ومرنة، واستثمار المهارات العالية للقوى العاملة، واقتصاد تحكمه القوانين ويتميز بالشفافية والكفاءة، الأمر الذي أدى إلى تهيئة أجواء صالحة لممارسة الأعمال للشركات التي تسعى للاستفادة من دخول الأسواق الخليجية، فاتخذت من البحرين مقراً لها لمزاولة أنشطتها، وبوابة لدخول تلك السوق.

والجدير بالملاحظة أن هذه المرتبة لم تكن ترتكز على النفط، وإنما بسبب النظام الضريبي التنافسي والقطاع المالي الذي يسهل انتقال رأس المال والاستثمارات الأجنبية وقوانينها التشريعية المتميزة. في حين يشير مؤشر درجة الحرية للدول العربية النفطية إلى أنها غير حرة اقتصادياً. فمصر على سبيل المثال وبالرغم من أنها تساهم في الاحتياط العالمي بنسبة (0.3 %) إلا أنها غير حرة، حيث احتلت المركز (96) بين دول العالم والمركز العاشر بين الدول العربية (انظر الجدول (1)، وسجلت (59.1) نقطة على مؤشر الحرية الاقتصادية وفق تقدير عام 2011 (انظر الجدول (2). أما ليبيا التي تنتج (301 %) من الاحتياطي العالمي فقد احتلت المركز (173) في قائمة الحرية الاقتصادية والتي تندرج تحت قائمة الدول الضعيفة (38.6) نقطة على المؤشر (الجدول (2). وكذا الحال بالنسبة لسوريا التي احتلت المركز (140) بين دول العالم والمركز (16) عربياً. ومن الدول العربية الأخرى المنتجة للنفط والتي تندرج تحت الحرية الاقتصادية الضعيفة الجزائر، حيث احتلت المركز (132) عالمياً و (14) عربياً (الجدول (1).

كما يلاحظ بأن كل من الكويت والسعودية والإمارات وعمان اندرجت تحت المؤشر الاقتصادي المتوسط. فالكويت التي تنتج (7.8 %) من الاحتياطي العالمي من النفط احتلت المركز (61) عالمياً والمركز (7) عربياً، وحققت (64.9) نقطة فقط على مؤشر الحرية الاقتصادية لعام 2011م. والسعودية التي تنتج (20%) من بترول العالم جاءت في المركز (54) عالمياً والمركز (6) عربياً، ثم الإمارات في المركز (47) عالمياً و (5) عربياً. وتعتبر قطر الدولة الوحيدة المنتجة للنفط في حصولها على درجة تؤهلها لأن تكون أكثر الدول العربية حرية اقتصادية نوعاً ما بعد البحرين، حيث احتلت المركز الثاني عربياً بعد البحرين، إلا أنها في المركز (27) عالمياً (انظر الجدول (1). يتضح لنا مما سبق أن معظم الدول العربية الغنية بالبترول إما أنها متوسطة أو ضعيفة الحرية الاقتصادية، ويرجع ذلك بشكل أساس لحصولها على درجات منخفضة لا سيما في مجال حرية الاستثمار (الجزائر، ليبيا، سوريا) أو الحرية المصرفية (سوريا) أو حرية الأعمال وحقوق الملكية وحرية العمل (ليبيا) (انظر الجدول (3). حيث إنه لم يكن للثروة النفطية دور يذكر في الحصول على مراكز متقدمة في مجال الحرية الاقتصادية.

أما الدول العربية النفطية التي حصلت على مؤشرات

متوسطة مثل (الكويت، السعودية، الإمارات، وعمان) فإن ذلك يرجع بشكل أساس لحصولها على درجات ضعيفة لاسيما في مجال حرية الاستثمار (الإمارات، السعودية) أو التحرر من الفساد (السعودية، الكويت) أو في مجال حقوق الملكية (السعودية) أو نتيجة حصولها على درجات متوسطة لا سيما في مجال حقوق الملكية (الإمارات، الكويت) أو الحرية المصرفية (السعودية، الكويت) (الجدول رقم (3).

ومما يؤكد حقيقة الاستنتاج السابق حصول دولة مثل الأردن (دولة غير نفطية) على المرتبة (38) عالمياً و (4) عربياً (الجدول (1)، متقدمة بذلك على كل من الإمارات والسعودية والكويت ومصر وليبيا وسوريا. حصول الأردن على هذه المرتبة جاء بسبب حصولها على (68.9) نقطة على مؤشر الحريات الاقتصادية لعام 2011 (الجدول (2)، ويرجع ذلك إلى تقدمها في مجال الحرية المالية، والحرية التجارية، والحرية النقدية، وحرية العمل بالرغم من حصولها على درجات متدنية في مجال التحرر من الفساد وحقوق الملكية (الجدول (3).

الدول العربية الضعيفة على مؤشر الحرية الاقتصادية:

باستثناء لبنان التي احتلت المرتبة (89) عالمياً و (8) عربياً، فإن كلاً من المغرب، ومصر، وتونس، وجيبوتي، واليمن، والجزائر، وموريتانيا، وسوريا، وليبيا حصلت على مؤشرات ضعيفة في الحرية الاقتصادية لعام 2011 (الجدول (3).

ويرجع ذلك للأسباب الآتية :

1) تباطؤ التحسن في مناخ الأعمال. فمثلاً إن الشروع في عمل تجاري في مصر يستغرق (43) يوماً في حين أن المتوسط العالمي يبلغ (9) أيام فقط.
2) وجود قيود على الواردات والأسواق.
3) ضعف حقوق الملكية الفكرية.
4) ارتفاع الرسوم الجمركية.
5) ارتفاع معدلات الضرائب.
6) ارتفاع نسبة التضخم، وتدني الحرية النقدية بسبب عدم استقرار الأسعار.
7) الضعف في مجال حرية الاستثمار (الحوافز، القطاعات الاقتصادية المحظورة، الموافقات المسبقة، القيود على المدفوعات والتحويلات... إلخ.).
8) هيمنة الحكومات على المصارف التجارية.
9) الإجراءات القضائية التجارية تحتاج إلى وقت طويل وتكلفة مرتفعة.

10) الفساد المالي على مستوى موظفي الخدمة المدنية وأصحاب المسؤوليات.
11) استخدام العمالة (باليومية) وفرض قيود على ساعات العمل.

ونتيجة لهذه الأسباب جاءت ليبيا في قائمة أقل عشرة دول في العالم في الترتيب لتحتل المرتبة (173) من أصل (183) دولة خضعت لمعايير تقرير الحرية الاقتصادية. وبدرجة أقل حصلت كل من موريتانيا واليمن على المرتبة (134) و(127) عالمياً و(15) و(13) عربياً على التوالي (الجدول1). حيث لوحظ الضعف الواضح في كل من مؤشر حرية الفساد، وحقوق الملكية، والحرية المصرفية (الجدول (3).

الحرية الاقتصادية ومؤشرات الرفاهية في الدول العربية (عامل مرونة المؤشر):

بنظرة متفحصة على الجدول رقم (4) يتضح أن البلدان العربية التي حققت مستويات حرية اقتصادية حول أو أعلى من المتوسط العالمي، تمكنت من تحقيق مستويات دخل فردي أعلى من الدول التي تتسم بمستويات حرية اقتصادية أقل من المتوسط، كما يتضح أن العلاقة بين المتغيرين (الحرية الاقتصادية ودخل الفرد) هي علاقة طردية وذات أهمية.

إلا أنه وبالرغم من أن ليبيا حققت مستوى حرية اقتصادية منخفض جداً، فإنها تمكنت من تحقيق مستوى دخل أعلى من متوسط الدخل العالمي، والتفسير الوحيد لذلك هو أن صادرات النفط عوضت تأثير مستوى الحرية الاقتصادية على الدخل الفردي، أي أنه لولا توفر صادرات النفط لأنتجت السياسات والإجراءات التقييدية في ليبيا مستوى دخل مقارب لذلك الذي حققته بعض الدول المشابهة. ونلاحظ - أيضاً - أن بلداً مثل لبنان الذي لا يتوفر فيه أي احتياطي نفطي أو ثروات طبيعية تذكر، استطاع أن يحقق مستوى دخل قدره 14.2.66 دولاراً، يقارب ذلك الذي حققته ليبيا، وذلك بفضل سياساته الأكثر تحرراً اقتصادياً.

أما الإمارات والتي استغلت مواردها النفطية في إطار أوسع من الحرية الاقتصادية، فقد حققت مستوى دخل قدره 36.5.37 دولاراً، وهو ما يساوي تقريباً (2.5) ضعف الدخل المتحقق في ليبيا. كما توضح حالة الأردن أنه بالإمكان تحقيق مستويات دخل عالية عندما يتم استغلال الموارد ضمن إطار واسع من الحرية الاقتصادية، حتى وإن لم تتوفر احتياطيات كبيرة من الخامات والموارد الطبيعية.

وعليه تعد الحاجة إلى توسيع هامش الحرية الاقتصادية للأفراد ملحة جداً، إذا ما أريد فعلاً تحسين الأداء الاقتصادي، وتحسين مستوى المعيشة.

المصادر

• الشارح، رمضان، 1996، دور الدول في تطوير مناخ الاستثمار العربي، مؤتمر إدارة الاستثمار والتصدير، أكاديمية السادات للعلوم الإدارية، 27 مارس، ص 76، 143.

• السنور، معن، 2005، تطورات مناخ الاستثمار في الأردن، مؤسسة تشجيع الاستثمار.

• القش، ظاهر، 2008، أثر تطبيق معايير المحاسبة الدولية في الشركات الأردنية على استقطاب الاستثمار الأجنبي المباشر، المجلة العربية للإدارة، المنظمة العربية للإدارة، جامعة الدول العربية، القاهرة، ص 9.

• دائرة الإحصاءات العامة، التجارة الخارجية للأردن، www.dos.gov.jo.

• دائرة الإحصاءات العامة، المسح الصناعي، www.dos.gov.jo.

• عدنان، وديع محمد، 2003، القدرة التنافسية وقياسها، المعهد العربي للتخطيط، الكويت، العدد الرابع والعشرون، ديسمبر، السنة الثانية، ص 5.

• عدنان، وديع محمد، 2001، محددات القدرة التنافسية للأقطار العربية في الأسواق الدولية، بحوث ومناقشات، تونس.

• غانم عدنان، لبنى المسيلي، 2003، دور الاستثمارات الأجنبية المباشرة في التنمية الاقتصادية في الجمهورية اليمنية، مجلة جامعة دمشق، المجلس 19، العدد الثاني.

• وزارة الصناعة، الكشوفات الخاصة بالمشاريع المرخصة من قبل لجنة إعفاءات الاستثمار، إدارة البحوث الصناعية، بيانات غير منشورة، صنعاء.

• وزارة الصناعة والتجارة، السياسة الصناعية الوطنية، البرنامج الوطني لتأهيل وتطوير القطاع الصناعي، 2007، ص 5 – 7.

• وثيقة وبرنامج عمل « كلنا الأردن ».

• مؤسسة تشجيع الاستثمار، المشاريع المستفيدة من قانون تشجيع الاستثمار (2001 – 2007)، www.jordaninvestment.com.

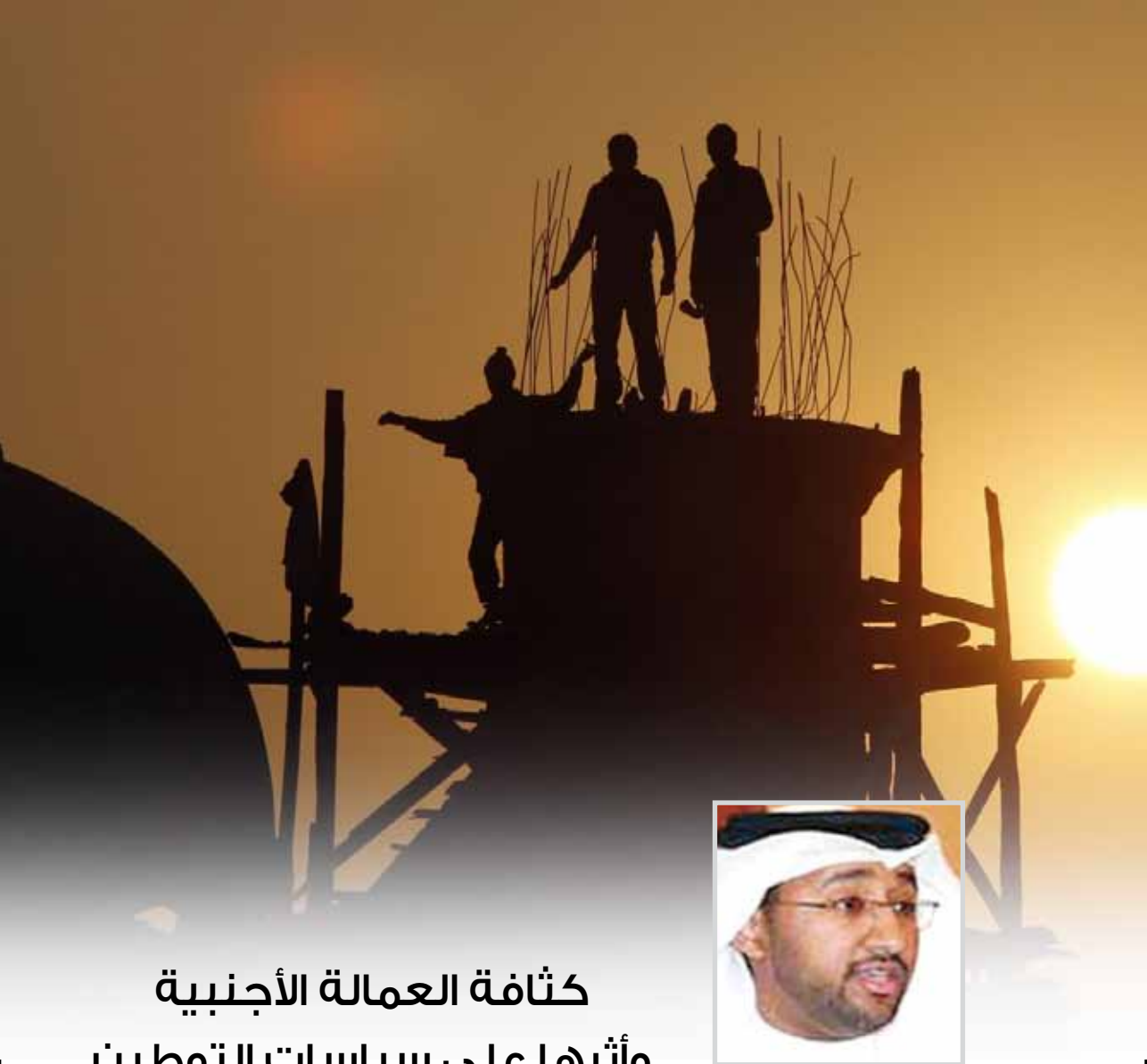

كثافة العمالة الأجنبية وأثرها على سياسات التوطين

أحمد مبارك سالم

يؤكد الخبراء في منطقة الخليج بأن تزايد البطالة بين العمالة الوطنية من جانب، وكثافة العمالة الوافدة من جانب آخر أدى إلى تزايد عدد الجرائم المختلفة منذ السبعينات الميلادية بين المواطنين والوافدين ، وهو ما من أجله برزت على الساحة سياسات التوطين.

حيث تعاني الكثير من دول العالم من البطالة نتيجة عدم تلبية استراتيجيات التنمية ومعطياتها , وهذا يؤثر على استقرار المجتمع ومسيرة التنمية فيه؛ ومن أجل ذلك فإن تصاعد التنمية في دول مجلس التعاون وما ترتب عليه من استقدام كثيف للعمالة الوافدة وإحلالها في العديد من قطاعات العمل، حيث لم تكن له تداعياته على الأمن الوظيفي للمواطن الخليجي في بدايات الطفرة النفطية في العقود الماضية

فإن نتائجه أخذت في التفاقم والتزايد حتى باتت تشكل أزمة توضع لها الاستراتيجيات والخطط من أجل العمل على احتوائها والتخلص منها نظراً لما يترتب عليها من تداعيات خطيرة، وذلك ابتغاء الوصول إلى تحقيق الأمن الوظيفي للمواطن الخليجي.

ونظراً لما قد ينجم عن التداعيات التي قد تفرزها كثافة العمالة الوافدة من ارتفاع في معدل البطالة بين العمالة المواطنة، ودور هذا الارتفاع في تفاقم معدلات الجريمة وخاصة في فئة المهارات المتدنية وذوي الميزة التنافسية مقابل نظرائهم من المواطنين، وهذا يؤدي إلى نشوء نوع من الفوبيا ضد الأجانب قد تتحول في بعض الحالات إلى سلوك عدواني ضدهم، كما أن هناك احتمال بأن يكون السلوك العدواني في الاتجاه المعاكس في حالة وجود تمييز في الحقوق ومستويات الأجور على أساس الجنسية.

والتساؤل الذي يثير نفسه في هذا المقام يرتبط بما إذا كانت كثافة العمالة الوافدة هي الأثر الأوحد المؤثر على سياسات التوطين التي تتبناها دول المجلس، أم أن هناك أثر آخر ؟، وما إذا كانت هذه السياسات المتبناة ضمن الإطار الجماعي والوحدوي من شأنها أن تحقق الأمن الوظيفي للمواطن الخليجي أم ليس من شأنها ذلك ؟، وهي المحاور التي نتعرض لها في هذا الموضوع .

وهنا نبين تزايد كثافة العمالة الوافدة في أقطار دول مجلس التعاون وهي بنسب متفاوتة ، حيث بلغت في دولة قطر 78.3 %، وفي دولة الإمارات العربية المتحدة التي تليها في المرتبة 71،4 %، كما بلغت في دولة الكويت 62،1 %، وفي البحرين بنسبة 40،7 % في العام 2005.، كما أن معدلات البطالة في ازدياد في ظل عدم تلبية القطاعات التي يقبل عليها المواطنون للعمل فيها .

ونظراً للنسبة العالية للعمالة الوافدة في سوق العمل الخليجي، فإن الربط المنطقي يتأتى بين الإعاقة لأهداف سياسات التوطين بفعل الكثافة الكبيرة لهذه العمالة وسيطرتها على الكثير من القطاعات، لا سيما وأنها في تزايد وفق ما تقرره الإحصاءات ، وفيما يلي استعراض للعوامل التي من شأنها أن تشكل إعاقة لتحقيق هذه السياسات لأهدافها، ومدى ارتباط ذلك بكثافة العمالة الوافدة:

أولاً: العادات والتقاليد والنظرة السلبية

إن اقتصار إقبال العمالة المواطنة على قطاعات معينة يرجع في جانب منه إلى العادات والتقاليد السائدة في هذه المجتمعات باعتبارها مجتمعات قبلية، والتي انطلقت من الرفض للأعمال اليدوية، وانتهت برفض الاشتغال في الأعمال الدنيا، حيث أدى ذلك إلى تعطيل الاستخدام الأمثل لقوة العمل المحلية، هذا بالإضافة إلى أن طبيعة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي أصابت المجتمعات النفطية خلفت مواقف سلبية نحو ما ينعت بالأعمال الدنيا.، وبذلك فإن هذه العادات والتقاليد السائدة من شأنها عرقلة سياسات التوطين فيما تصبو إليه من رغبة في احتواء البطالة بين العمالة المواطنة وإدماجها في قطاعات على نطاق أوسع، حيث يسود في أوساط المجتمع الخليجي نوعاً من الازدراء من ممارسة بعض الوظائف احتقاراً لها نظراً لكون غالبية من يمارسها من فئة العمالة الوافدة التي ينظر إليها في أوساط المجتمع على أنها عمالة متدنية .

وفي ذلك يربط الباحث سعد الدين بين النظرة السلبية للعمل – والتي للعادات والتقاليد أثر كبير في تكوينها – وبين عرقلة سياسات توطين العمالة، وذلك عندما يتحقق الاكتفاء في مجالات العمل التي تقبل عليها العمالة المواطنة المتمثلة بالنشاطات الإدارية والخدمية بعيداً عن النشاط الإنتاجي، حيث يكون التفضيل والإقبال بصفة عامة على الاستخدام في القطاع الحكومي على أي شكل من أشكال الاستخدام، في حين يقع تركيزه بعد ذلك على العمل في القطاع الخاص في مجالات: (الاستيراد والتجارة والمقاولات والأعمال المالية والمصرفية)، بينما يندر بين أفراد هذا القطاع من يعمل في مجالات الإنتاج الصناعي

أو الـزراعـي أو الإنـشـاءات، وعندما يتحقق الاكتفاء في هذه القطاعات تتولد الحاجة إلى تبني سياسات لتوطين العمالة في مجالات أخرى.

وقد أورد سعد الدين ما أشارت إليه الدراسات والبيانات من أنه حيث يتولى الخليجيون العمل، فإنهم يعتمدون بصورة رئيسة على العمالة الوافدة في اتخاذ القرارات الرئيسة، وأن دورهم في ذلك يبقى صورياً ؛ لذلك فإن تحقيق الاكتفاء بالعمالة الوطنية في هذا القطاع دون استيعاب المقبلين على التوظيف من شأنه أن يؤدي إلى تفاقم مشكلة البطالة، ولا شك أن ذلك نتيجة النظرة السلبية للعمل بين مواطني أقطار الخليج العربي لجانب كبير من قطاعات من العمل.

ثانياً: القصور في البرامج التعليمية والتدريبية والإعلامية

في تعقيب على ربط سعد الدين بين النظرة السلبية للعمل من العمالة المواطنة باعتباره سبباً في ضعف إقبالها على بعض القطاعات، مما استدعى تبني سياسات التوطين للعمالة، وذلك عندما يتحقق الاكتفاء في مجالات العمل التي يقبلون عليها، فيما يقرر عبد المؤمن البعلبكي بأن الإشكال الذي من شأنه عرقلة سياسات التوطين لا يتمثل في النظرة السلبية لدى العمالة الوطنية لبعض قطاعات العمل فحسب، بل إن المسؤولية في ذلك تقع على النظام التعليمي التدريبي والإعلامي القاصر على جذب العمالة الوطنية للاعتماد على الذات ما أمكن.، بالإضافة إلى دور فعال للإعلام في تصحيح النظرة إلى العمل – إلى القدرة على التحكم في نسبة البطالة بدلاً من تراكمها ليصعب احتوائها بعد ذلك بدلاً من تبني سياسات التوطين، مع التوجه لسياسة الاستقدام الكثيف للعمالة الوافدة في ظل تصاعد وتيرة التنمية.

ومن جانب آخر تقرر خولة مطر انتقاداً للأنظمة التعليمية والتدريبية المؤهلة للمواطنين وتصفها بأنها برامج متخبطة في الكثير من الأحيان، مما يؤثر على تحقيق سياسات التوطين لأهدافها في عملية الإحلال.

ثالثاً: تغير طبيعة مشكلة البطالة، وقصور سياسات الإحلال

أورد محمد إبراهيم ديتو بناء على إحصاءات استعرضها في دراسة له بأن طبيعة مشكلة البطالة التي من أجلها يتم تبني سياسات التوطين قد تغيرت عما كانت عليه في مطلع التسعينات، حيث يرجع جزء كبير في تقليص أرقام البطالة إلى الجهود الكبيرة

التي تم بذلها في هذا الموضوع، إلا أن نوعية المشكلة الآن قد وضعت تحدياً كبيراً يتلخص في كيفية إدماج أعداد متزايدة من الشباب والإناث خاصة في ظل الوظائف المتوفرة.

ومن العوامل المؤثرة في توجهات سياسات التوطين في ظل بروز مسألة نوعية المخرجات التعليمية، يقرر ديتو بأنه يجب أن ننتبه إلى أن معادلة توازن مخرجات التعليم مع سوق العمل لا تعني بالضرورة أنه يجب تقليص أعداد خريجي العلوم الإنسانية، كما أوردت دراسة هامة عن (الشباب الخليجي والمستقبل) تفيد بأنه في ظل إعطاء الأهمية والتوعية بالانخراط في مشاريع البناء الاقتصادي على اختلاف مجالاته، وخصوصاً التقنية منها والمالية، فإنه لا يوجد اهتمام موازٍ بالتنمية المجتمعية وعلاج مشكلاتها، وصيانة الطاقات المنتجة، والتي تشكل الوظيفة الأساسية للعلوم الإنسانية، ما من شأنه إعاقة تنمية البنية الأساسية المجتمعية التي تقوم بها العلوم الإنسانية، والتي من شأنها تعزيز القاعدة الإنتاجية وتحقيق الصيانة المجتمعية بصيانة الطاقات المنتجة وإعدادها وتسييرها ورعايتها - وهو دور علم النفس والخدمة الاجتماعية والإرشاد النفسي -، وأن هناك حاجة لإعادة النظر في هذه التوجهات وتدارك قصورها قبل فوات الأوان.

إن سياسات الإحلال تحتاج لإنجاحها إلى التدرج وعدم اتخاذ قرارات فجائية قد تحدث بعض الاختلالات الاقتصادية والاجتماعية؛ لذلك فإنه لا بد من وضع العديد من الأمور في الاعتبار، والتي من أهمها نوعية القطاعات التي سيتم فيها الإحلال، ومدى أهمية العاملين فيها، إضافة إلى مدى توفر الخبرات الفنية الوطنية للعمل في هذه المجالات. كما لا بد من إنجاز العديد من خطط التدريب وإعادة التأهيل، وذلك من خلال رصد مبالغ كبيرة لذلك، والحرص على أن تتم عملية الإحلال وفق قواعد محددة تضمن تحقيقها الأهداف المرجوة منها.

رابعاً: وضع الأجور المتدنية في الكثير من قطاعات العمل الخاص:

إن وضع الأجور المتدنية في القطاع الخاص يولد مشكلة (نقص التشغيل) بوصفها المشكلة الأساس التي تحتل مكان الصدارة في اهتمام المجتمع.، حيث إن هذا السبب يترتب عليه إضعاف في إقبال العمالة الوافدة على العمل في القطاع الخاص، في حين يقبل العامل الوافد العمل فيها نظراً لتلبيتها لاحتياجاته، وبذلك فإنه لا يمكن في ظل هذه المعضلة تصحيح النظرة السلبية ولا التدريب للعمل في هذه القطاعات، بل لا بد من تبني سياسات توطين من شأنها أن تلبي احتياجات العمالة المواطنة حتى تقبل العمل في هذه القطاعات.

يتبين لنا من خلال الدراسة السابقة أن أثر العمالة الوافدة على سياسات التوطين لا تكمن في كثافة العمالة الوافدة فحسب، بل إن العادات والتقاليد السائدة، والتي ولدت نظرة سلبية لبعض قطاعات العمل، والقصور في البرامج التعليمية التدريبية والإعلامية التي كان من شأنها تشكيل هذه النظرة، وعدم تقبل الاندماج في بعض قطاعات العمل، بالإضافة إلى تغير طبيعة مشكلة البطالة، والأجور المتدنية في الكثير من القطاعات التي تعمل فيها هذه العمالة، هذا فضلاً عن النظرة التي تشكلت لدى العمالة المواطنة للكثير من الوظائف التي تمارسها العمالة الوافدة في ظل ما تعانيه العمالة المواطنة من ضعف النظم التعليمية والتدريبية، والنظر للبطالة على أنها مشكلة اجتماعية لا اقتصادية، و علاجها يتطلب مزيداً من التوظيف في القطاع الحكومي بصرف النظر عن إنتاجية العاملين .

إن هذه العوامل باعتبار ما لها من دور في عرقلة تحقيق سياسات التوطين لأهدافها، وإن كانت لا ترتبط في وجودها بصورة مباشرة بكثافة العمالة الوافدة، إلا أنها ترتبط بها بصورة غير مباشرة، فالعادات

والتقاليد التي كان لها دور في تشكيل النظرة السلبية لجانب كبير من قطاعات العمل إنما تشكلت بسبب استئثار هذه العمالة بالعمل في هذا القطاع، مما أدى إلى تشكيل هذه النظرة على المدى البعيد بسبب هذا الاستئثار، كما أن القصور في البرامج التدريبية للعمالة المواطنة سببه اكتفاء السوق المحلية بالعمالة الوافدة الماهرة والرخيصة في ظل عدم تفاقم البطالة بين العمالة المواطنة إبان بداية عصر الطفرة، هذا بالإضافة إلى أن تغيير طبيعة مشكلة البطالة المتمثلة في كيفية إدماج الأعداد المتزايدة في ظل الوظائف المتوفرة مع وجود عمالة وافدة تستوعب هذه الوظائف، هذا فضلا عن تدني الأجور الذي يتلاءم مع أوضاع واحتياجات العمالة الوافدة، إن كل هذه العوامل باعتبار أن تفاقمها ولد التبني لسياسات التوطين، فإنها وإن كانت غير مرتبطة بكثافة العمالة الوافدة على نحو مباشر، إلا أنها مرتبطة بها على نحو غير مباشر، ومن أجل ذلك برزت سياسات التوطين التي عكستها برامج علمية وعملية من أجل احتواء ظاهرة البطالة في أوساط العمالة المواطنة.

سياسات مطروحة لتوطين العمالة :

هناك عدة سياسات طرحت من أجل توطين العمالة في دول مجلس التعاون الخليجي، من أبرزها:

أولاً: تبني سياسة التوطين:

إن سيطرة العمالة الوافدة على مختلف قطاعات العمل، وتفاقم مشكلة البطالة بين المواطنين ولدت تبني سياسات التوطين والإحلال التدريجي للعمالة الوطنية محل الأجنبية باعتباره الخيار الأمثل.

وفي ظل التحديات التي تفرضها سياسات المواطنة هذه فإنه لا يمكن الاستغناء بشكل كامل عن العمالة الأجنبية - خاصة الماهر منها وأصحاب التخصصات النادرة -، لكن في الوقت ذاته لا يمكن الركون إلى سياسات لا تراعي متطلبات سوق العمل واحتياجاته من جهة، ولا يمكن اتباع نفس سياسات الاستقدام التي كانت متبعة للعمالة الوافدة من قبل

دون ضابط أو رابط من جهة ثانية، ولا يمكن من جهة ثالثة وأخيرة الصمت عن بعض المعتقدات السائدة التي لا تقدر قيمة العمل أو نوعيته، وهذا ما يعني – وفق ما أرى – أن وضع ضوابط لاستقدام العمالة الوافدة هو الخطوة الأولى في سياسات التوطين، وأن إعادة صناعة النظرة ضرورة ملحّة، ولكن لا بد من احتواء مشكلة تدني الأجور التي تعتبر السبب الرئيس لعدم إقدام العمالة المواطنة على هذه القطاعات. ثم إن من المهم كذلك تبني سياسات قد تتباين بتباين ظروف كل دولة على حدة للتصدي لكافة الأخطار الناشئة عن احتمالات من قبيل المطالبة باستيطان العمالة الأجنبية للأقطار الخليجية، أو من قبيل نزوع شرائح من المواطنين ناحية مواجهة الدولة لعدم رضاها عن سياساتها.

إن الأحداث التي شهدها عقد الثمانينات من القرن الماضي في منطقة الخليج عجّلت بالتفكير في تبني سياسات وإجراءات إحلال العمالة الوطنية محل العمالة الأجنبية، خاصة مع انخفاض أسعار النفط العالمية ونشوب حربين كبيرتين هما: (الحرب العراقية الإيرانية ، وغزو العراق لدولة الكويت)، وما سببتاه من إهدار للموارد العربية، حيث أدت هذه الأحداث إلى ركود اقتصادي في دول المجلس، وتباطؤ في معدلات النمو وعجز في الموازنات العامة، ونتيجة لذلك سعت دول المجلس إلى تبني سياسات للتخلص من العمالة الأجنبية التي كانت قد استقدمتها لسد احتياجات الطفرة التي انطلقت مع استقلال دول المجلس.

ثانياً: عوامل التشكيل

لقد توالت هناك عدة عوامل حاكمة شكلت سياسات التوطين باعتبارها سياسة دولة، وقد تمثلت هذه العوامل بما يلي:

- الضرورة الملحة التي يفرضها إحلال العمالة الوطنية خاصة في الدول التي يُعتبر مواطنوها بمثابة

أقلية وسط نسيج الأجانب القاطنين فوق أرضها، وهذه الدول رغم جهودها لعلاج الخلل في تركيبتها السكانية، ومحاولاتها إعادة التوازن بين المواطنين والأجانب، إلا أن جهودها لم تثمر النجاح المنتظر.

■ إعادة التوازن بين القطاعين الرسمي أو الحكومي وغير الرسمي أو الخاص في تشغيل العمالة، فرغم أن الأول يستوعب النصيب الأكبر من العمالة الوطنية، إلا أنه الأقل إنتاجية من حيث طبيعة المجالات أو النشاطات الاقتصادية التي يقوم عليها، والتي تتمثل في الأعمال الإدارية والمكتبية والخدمية، وهي النشاطات التي لا تعطي في الأدبيات الاقتصادية أي عائد يذكر بالمقارنة بكلفتها المتزايدة في الموازنات الخليجية. كما أنه وبالرغم من أن القطاع الثاني – غير الرسمي أو الخاص – الذي يبدو أنه الأكثر إنتاجية بالمقارنة بالأول، إلا أنه يعتبر الأكثر تشغيلاً أو جذباً للأجنبي وطرداً للوطني؛ لذا كانت سياسات التوطين تعتمد على مدى قدرة هذا الأخير على تقليص استعانته بالأجنبي، وعلى تعظيم استفادته وقبوله للعامل الوطني.

■ أولوية الإحلال أو القطاع الواجب الإحلال فيه أولاً، والذي يتوقف في الحقيقة على مدى قدرة أجهزة الدولة على تعويض النقص المتوقع حصوله عند سحب العمالة الأجنبية في أي مجال من مجالات النشاط الإنتاجي المختلفة، أو بمعنى آخر مدى قدرة الدولة على توفير الأيدي العاملة المدربة والماهرة للقطاعات الإنتاجية التي بحاجة إلى هذه العمالة، وذلك إذا ما تم الاستغناء عن البديل الأجنبي في بعض الأعمال التي لا يزال البعض يعتبرها متدنية أو أقل من حيث العائد الذي يتوقعه من الدولة.

ثالثاً: البرامج والجهود

نظراً للتحديات التي من شأنها عرقلة سياسات التوطين في تحقيق أهدافها ضمن النطاق القطري والإقليمي، فإن الجهود المبذولة من أجل تدعيم سياسات التوطين تحققت برامجها ومجهوداتها عبر النطاق القطري والإقليمي، وفيما يلي بيان لكل منهما على حدة:

■ الجهود الجماعية: لقد تمثلت الجهود الجماعية لدول المجلس بالعديد من الاتفاقيات التي من شأنها تدعيم سياسات التوطين للعمالة الخليجية، وقد كانت باكورة هذه الجهود متمثلة بالاتفاقية الاقتصادية الموحدة لعام 1981، والتي عُدلت في قمة مسقط ديسمبر من العام 2001، حيث أكدت هذه الاتفاقية على ضرورة معالجة قضية العمالة الأجنبية وفق إطار علمي محدد يقوم على توحيد أنظمة وتشريعات العمل الوطنية، وتذييل عقبات انتقال الأيدي العاملة الوطنية فيما بين دول المجلس، ووضع سياسات فعالة لزيادة مساهمة الأيدي العاملة الوطنية، وترشيد استقدام الأيدي العاملة الأجنبية، كذلك كانت هناك قرارات مؤسسة القمة الخليجية خلال اجتماعاتها السنوية خاصة منذ القمة الـ 14 المنعقدة في الرياض في 1993، والتي أصدرت قراراً بتعميق المساواة في حقوق الوطنية بين مواطني دول مجلس التعاون، وقمة المنامة الـ 15 في 1994 التي دعت إلى اتخاذ ما يلزم لاستيعاب الزيادة المستمرة في عدد طالبي العمل من مواطني المجلس، وقمة مسقط الـ 16 في 1995، وقمة الكويت الـ 18 في 1997، وقمة أبو ظبي الـ 19 في 1998، وقمة الرياض الـ 20 في 1999، وقمة المنامة الـ 21 في 2000، والتي اعتمدت جميعها إجراءات منها:

توطين الوظائف والمهن بشكل تدريجي ، رفع تكلفة العمالة الأجنبية على مستخدميها،

تصحيح أوضاع المخالفين وضبط تحركهم في سوق العمل ، أولوية التشغيل لمواطني دول المجلس قبل العمالة العربية والأجنبية. علاج قضية العمالة الأجنبية في إطارها الأوسع، وذلك لتصحيح الخلل في التركيبة السكانية.

وفي القمة الـ 24 التي استضافتها الكويت في 2003 أكد القادة المجتمعون على أهمية تعزيز فرص عمل المواطنين وتسهيل تنقلهم، بما في ذلك مد مظلة الحماية التأمينية والمساواة في التوظيف في القطاعين

العام والخاص، وفي قمة المنامة الـ 25 عام 2004 وافق المجتمعون على مذكرة الأمانة العامة بشأن معالجة آثار العمالة الأجنبية على دول المجلس.

ويضاف إلى ما سبق الرؤية التي قدمتها الهيئة الاستشارية الخليجية عام 1998 في أول قضية أحيلت لها من مؤسسة القمة لمناقشتها، والخاصة بدراسة سوق العمل وتوظيف العمالة الوطنية وإحلالها محل الأجنبية، كما صدرت قرارات عن وزراء التخطيط والتنمية في دول مجلس التعاون بتفعيل دور العمالة الوطنية عبر ربط برامج التعليم والتدريب باحتياجات سوق العمل، وغرس مفاهيم إيجابية نحو العمل وزيادة الإنتاج، ووضع الخطط لتنمية وتدريب العمالة الوطنية.

■ الجهود القطرية: اتخذت دول الخليج العربي أشكالاً عديدة بتعدد دول مجلس التعاون الست وتباين ظروفها، وخطورة قضية العمالة الأجنبية عليها. وعلى الرغم من ذلك فإن هناك مجموعة من الإجراءات المتشابهة التي تبنتها دول مجلس التعاون في التعاطي مع المشكلة، ومن بين هذه الإجراءات:

■ تبني القوانين وسن التشريعات المنظمة لاستقدام العمالة الأجنبية وإحلال العمالة الوطنية محلها: وذلك من قبيل القانون الاتحادي الإماراتي رقم (13) لسنة 1996 بشأن دخول وإقامة الأجانب، وقرار وزير العمل والشؤون الاجتماعية البحريني رقم (7) لسنة 1996، والذي بدأ العمل به في 1 مايو 1998، والخاص بتحديد نسبة العمالة البحرينية في مؤسسات وشركات القطاع الخاص، وذلك بنسبة 5 % سنوياً للمؤسسات التي يقل فيها عدد البحرينيين عن 50 %. وقرار مجلس الوزراء السعودي رقم (50) لسنة 1995 بهدف زيادة إسهام العمالة الوطنية في المنشآت التي تستخدم 20 عاملاً فأكثر بنسبة 5 % من مجموع عمالتها، إضافة إلى قصر العمل في بعض الوظائف على العمالة السعودية، حيث إنه مع توالي القرارات بلغ عدد المهن التي يحظر على العمالة الوافدة ممارستها 29 مهنة، هذا بالإضافة إلى جهود أخرى كبيرة ومتنوعة للحد من استقدام العمالة، ودعم سياسات السعودة للوظائف بحيث تحقق التطلعات في احتواء ظاهرة البطالة بين الراغبين في العمل. ويشار أيضاً في ذلك إلى المرسوم السلطاني الصادر بتاريخ

26 ديسمبر 1997، والذي قضى بإنشاء لجنة متابعة ومراقبة خطط برامج التعيين في القطاعين العام والخاص، والقرار الوزاري رقم (127) لسنة 1994 بتحديد نسب تعمين الوظائف حسب الأنشطة الاقتصادية، هذا بالإضافة إلى جهود تشريعية أخرى. أما في دولة الكويت فقد صدر القانون رقم (38) لسنة 1964 القاضي بفرض أولوية العمل داخل الأنشطة الخاصة للعمال الكويتين، والقرار الوزاري رقم (106) لسنة 1994 بشأن تنظيم العمل في القطاع الأهلي، وقرار مجلس الخدمة المدنية رقم (2) لسنة 1997 بشأن تخفيض الاعتمادات المالية المخصصة لوظائف غير الكويتيين بنسبة تخفيض الاعتمادات المالية المخصصة لهذه الوظائف بنسبة 10 %، وقانون دعم العمالة الوطنية وتشجيعها للعمل في القطاع الخاص الذي يفرض حداً أعلى لعدد العمال الأجانب المسموح بتوظيفهم، وزيادة نسبة الكويتيين العاملين في القطاع الخاص.

■ استهداف الخطط التنموية تحقيق نسبة معينة من تشغيل العمالة الوطنية وإحلالها محل الأجنبية: حيث اعتمدت المملكة العربية السعودية الخطة التنموية السابعة في السعودية (2000 – 2005) لزيادة نسبة القوى العاملة الوطنية إلى إجمالي العمالة إلى 52.2 % بنهاية الخطة، ونجحت خطة الهجرنة الأولى (1989 – 1994)، والثانية (1995 - 2000) في تطبيق سياسات الإحلال، كما أعطت الخطة الخمسية السادسة العمانية (2001 – 2005) الأولوية القصوى لتوفير فرص العمل للعمانيين، وكان في مقدمة أهداف الخطة التنموية الكويتية (1995 – 2000) الاعتماد على العمالة الوطنية وإعطائها الأولوية في سوق العمل في كافة القطاعات، كما أن استراتيجية التوطين الإماراتية (2000 – 2025) حددت لها هدفاً وهو بلوغ مستوى الاستخدام الكامل لقوة العمل الوطنية.

■ افتتاح مكاتب التوظيف، وإنشاء الصناديق والمؤسسات واللجان التي يمكن أن توفر فرصة عمل للمواطنين: حيث أنشئ في الإمارات في يونيو من العام 1997 أول مكتب للتوظيف هدف إلى تشغيل وفتح مجالات العمل أمام الإماراتيين وتنظيم هذه العمالة، كما افتتحت في البحرين في أواخر يوليو 1996 مكتب خدمات التوظيف للارتقاء بمستوى الخدمات المقدمة للباحثين عن العمل وأصحاب الأعمال، وقرار مجلس الوزراء السعودي في 21 يوليو 2001 بإنشاء صندوق تنمية الموارد البشرية، والذي يختص بتسهيل توظيف المواطنين وتدريبهم وتشجيعهم على العمل بالشركات الخاصة، هذا فضلاً عن إنشاء جهات أخرى لدعم سياسات التوطين، وفي الكويت تم افتتاح مكتب تنمية العمالة الوطنية في العام 1993 لبحث ودراسة ومراجعة حجم ونوعية العمالة الأجنبية بالقطاع الأهلي؛ وذلك بغرض توفير عناصر وطنية مكانها، هذا بالإضافة إلى لجنة تصاريح العمل، ولجنة منازعات الإقامة، ولجنة إحالة المخالفات.

■ الملاحقات الأمنية للعمالة المخالفة: ومن قبيل ذلك الحملة التي قامت بها السلطات الإماراتية المختصة

في الفترة من يوليو وحتى أكتوبر 1997 لترحيل 300 ألف عامل ومقيم مخالف لقوانين الإقامة والعمل، وكانت الإمارات قد بدأت أيضاً اعتباراً من 3 يناير 2003 حملة أخرى لتصحيح أوضاع العمالة المخالفة بهدف ترحيل 150 ألف عامل، وكذلك فعلت السلطات البحرينية عام 1998 بترحيل 2991 عاملاً، والسلطات السعودية عام 1998 بترحيل أكثر من 106 آلاف عامل، وتصحيح أوضاع أكثر من 70 ألف آخرين، والسجن والتغريم لـ 1800 مواطن سعودي قاموا بالتستر على المخالفين، هذا بالإضافة إلى قيام السلطات العمانية عام 1998 بترحيل 24 ألف عامل، وقيام السلطات القطرية من نوفمبر 1997 حتى إبريل 1998 بشن حملات مماثلة لمعالجة ظاهرة هروب العمالة، وهو الأمر ذاته التي قامت به السلطات الكويتية عقب أحداث خيطان عام 2002، حيث قامت بمواجهة تجار الإقامات، وكل ما يترتب على ذلك من آثار.

رابعاً: العقبات والمعوقات

لقد تبين لنا أن دول مجلس التعاون لم تدخر جهداً في اتخاذ الإجراءات التي تكفل معالجة مشكلة بطالة العمالة المحلية، إلا أن هذه الجهود لم تسفر في الحقيقة عن نجاح كامل، وقد يكون السبب الرئيس في ذلك متمثلاً في عدم توفر الجدية الكاملة للتعاطي مع المشكلة، سواء من جانب الدولة أو من جانب مواطنيها، فالأولى من جهتها تخشى مواجهة رجال الأعمال و مؤسساتها الحكومية التي تشغل نسبة كبيرة من العمالة الأجنبية بدعوى رخص كلفة تشغيلها بالمقارنة بنظيرتها الوطنية، وهذه الأخيرة لا تستطيع العمل وسط الظروف التي تعمل بها الأجنبية، لا سيما منها ما يتعلق بالأجر، فمثلاً تشير المعلومات إلى أن متوسط الأجور في منشآت القطاع الخاص التي تستخدم 10 عمال فأكثر بلغ 2461 ريالاً عام 2002، في حين بلغ المتوسط للسعوديين 6560 ريالاً، ويزداد الأمر خطورة على صعيد القطاع العام، حيث يزيد هذا المتوسط بالنسبة للسعوديين إلى أكثر من 7 آلاف ريالاً، مما يعني وجود فجوة ما بين الحكومة والقطاع الأهلي، حيث تتحمل الحكومة وحدها عبء توظيف العمالة الوطنية رغم معاناتها من التضخم والترهل والعمالة الزائدة.

إن تفاقم مشكلة البطالة بين مواطني دول المجلس بسبب منافسة العمالة الوافدة للقوى العاملة الوطنية في سوق العمل بلغت كمتوسط 5.7 % على مستوى دول مجلس التعاون الخليجي، وهي تتفاوت ما بين دولة وأخرى، وذلك حسب إحصائية العام 2006. ثم إن إعاقة برامج تنمية الموارد البشرية في ظل تزايد أعداد العمالة الوافدة، وإغراق أسواق دول المجلس من هذه العمالة التي تقبل بأجور متدنية هو من الأمور التي تشكل عقبات أمام تحقيق سياسات التوطين لأهدافها المرجوة .

ويؤكد من جانب آخر بأن سياسة (دولة الرفاه)

اعتبرت وسيلة غير مباشرة لتوزيع جانب من العائدات النفطية على المواطنين، وكان أحد مظاهرها متمثلاً بتوفير فرص عمل بالجهاز الحكومي لا يرتبط العائد منها بالضرورة بإنتاجية المشتغل، كما ظهرت أشكال أخرى من هذا الريع في صورة كفالات الأعمال وغيرها، هذا فضلاً عن أن فرص الربح الهائلة في التجارة والمضاربات العقارية والمالية حرفت نسق حوافز العمل في المجتمع تجاه ابتعاد المواطنين عن قنوات التعليم والتدريب والعمل الذي يمكن أن تؤدي لقيامهم بدور أكبر في قوة العمل في بلدانهم، وأكثر فعالية في تطوير المجتمع.

وإذا كانت البرامج والجهود التي بذلت من أجل دعم سياسات التوطين تنطلق من استشعار حكومات البلدان الخليجية العربية لخطورة تفاقم معدلات البطالة بين مواطنيها بنسب مختلفة، وبوجه خاص بين الشباب وحاملي الشهادات العلمية، وما لذلك من انعكاسات سلبية على المجتمع الذي يحمل راية مجتمع الرفاه، بحيث ينبغي انعدام هذه الظاهرة أو أن تكون في أضيق الحدود ومؤقتة، إذا كان ذلك فإن كثافة العمالة الوافدة لهذه المنطقة تحتل مرتبه متقدمة ضمن أولويات هذه البلدان لمواجهة البطالة بين العمالة المواطنة التي تسعى سياسات التوطين إلى تقليصها واحتوائها أولاً، ولكن على الرغم من وضوح التأثيرات السلبية للعمالة الوافدة، فإنه قد تواجه بعض البلدان المعنية العديد من الصعوبات للوصول إلى حل حاسم لمشكلة كثافة هذه العمالة باعتبارها أبرز معوقات تحقيق سياسات التوطين لأهدافها بالإضافة إلى ما سبق ذكره من أسباب .

ووفقاً لما تقرره استنتاجات وآراء بعض الباحثين والمعنيين بعملية توطين الوظائف، فإن من العقبات والمعوقات التي تواجهها سياسات التوطين في تحقيقها لأهدافها عدداً من العقبات التي تعتبر بمثابة ردة فعل لهذه السياسات لمن تضررت مصالحهم الآنية بها، وذلك من حيث تهرب بعض أصحاب الأعمال من الالتزامات الخاصة بخطط توطين الوظائف، وذلك بتحديد أجور منخفضة للعمال الوطنيين لدفعهم إلى الاستقالة فيما بعد، أو عزوف بعض أصحاب العمل عن توظيف الوطنيين بدعوى أنهم أقل كفاءة وإنتاجية من العمال الأجانب وأعلى تكلفة في التدريب، واستمرار التباين بين مخرجات التعليم والتدريب واحتياجات التنمية، هذا بالإضافة إلى عزوف العمال الوطنيين عن العمل في المنشآت الصغرى والمتوسطة لانخفاض معدل الدخل، وباعتبار أن سياسات توطين الوظائف في قطاع المنشآت الصغرى لم تحقق الأهداف المرجوة منها بسبب وجود هذه العقبات التي تعتبر بمثابة ردة فعل على سياسات التوطين، حيث كانت هناك عرقلة للخطط والبرامج الموضوعة لتحقيق أهدافها.

لقد فاجأت ظاهرة البطالة بين المواطنين في دول مجلس التعاون المخططين للأمد القصير في دول المجلس، حيث كانت هذه الدول تبدو محصنة من هذه الظاهرة، إلا أن مستويات البطالة بلغت وبسرعة درجات مقلقة ما يتجاوز 9 % في بعض دول المجلس. ولا يكفي هذا الوضع لبعث الدهشة، فما تزال أفواج الوافدين من العمال تتجه إلى المنطقة بحجم يقارب المليون سنوياً، ويعني ذلك أن البطالة بين المواطنين ذات طبيعة خاصة يغلب عليها البطالة الهيكلية، فتكون معالجتها من خلال البنية وليس في إجراءات مؤقتة متغيرة .

أثر سياسات التوطين في تحقيق الأمن الوظيفي

على الرغم من أن ارتفاع معدلات البطالة تعد إحدى المشكلات التي تعاني منها غالبية دول العالم، بما فيها اقتصاديات الدول الصناعية الكبرى، حيث تُظهر إحصاءات صندوق النقد الدولي أن الغالبية الساحقة من الدول المتقدمة عانت من معدلات بطالة عالية.، إلا أن معدلات البطالة في بلدان الخليج العربية بشكل عام لم تصل إلى مستويات مأساوية، حيث ما زالت في

مجملها معدلات آمنة ومنخفضة، ولكن تبرز المشكلة من خلال قياس مدى قدرة سوق العمل على امتصاص الأعداد المتزايدة من الباحثين عن عمل، وذلك وفقاً للظروف والمعطيات التي تصاحب هذه السوق، وكذلك مدى القدرة على معالجة التباطؤ الملحوظ لدى القطاع الخاص في الاستجابة لبرامج الإحلال والتوطين، وربما يعود ذلك إلى جملة من الأسباب منها: (ضعف مستوى الأجور والرواتب في القطاع الخاص، عدم توافر المهارات المطلوبة لدى الباحثين عن عمل، الإسراف الزائد في استقدام العمالة الأجنبية، وضعف وسائل مراقبتها وتنظيمها).

أولاً: سبل تحقيق سياسات التوطين لأهدافها

قال الباحث محمد مهدي بأنه لا بد لكي تحقق سياسات التوطين الخليجية لأهدافها من مراجعة طبيعة السياسات التعليمية والاقتصادية المطبقة في البلدان الخليجية، وأن هذه السياسات من الأحرى تطويرها قبل البدء في سياسات التوطين. كما أشار بأنه لا يمكن أن نتجاهل أو نتناسى أن أغلب القوانين والإجراءات التي اتخذت بشأن توطين الوظائف عملت على زيادة عمليات التحايل على القوانين ، خاصة أن بعض هذه القوانين مملوءة بالثغرات؛ لذلك فإنه يرى أن دول مجلس التعاون بحاجة ماسة إلى إعادة النظر في مشروع سياسات التوطين ؛ وذلك لأنه لم يحقق الأهداف التي جاء من أجلها، حيث إن أغلب القوانين والإجراءات والبرامج التي نفّذت لم تسفر عن نتائج مرضية، وبالتالي فإن الأمر يتطلب إلى جانب القرارات والقوانين والبرامج تبني رؤية جديدة تضع في مقدمة أولوياتها الفرد وكيفية الارتقاء به.

وقد ذكر شفيق ناظم الغبرا بأن مهمة توفير الوظائف للمواطنين في منطقة الخليج أصبحت تمثل تحدياً كبيراً، وأنه إذا كان القطاع الخاص قد وفر ما يقارب من 55 ألف وظيفة سنوياً خلال العشر سنوات الأخيرة، إلا أن التحدي يتمثل بأنه لاستيعاب الطلب الموجود من حملة الثانوية العامة والشهادات الجامعية لا بد من توفير 300 ألف وظيفة سنوياً، ويتساءل في ختام ذلك: كيف سيتم هذا ؟، ومن الذي سينجح في تحقيق إصلاح شامل يفي بمتطلبات هذا التوسع الوظيفي ؟، كما يتساءل من جانب آخر حول أبعاد هذه المشكلة عن الآلية التي سيتم التعامل من خلالها مع عزوف الشباب الخليجيين عن القطاع الخاص ، وما يتصل ببناء الاتجاه نحو المنافسة والجهد والعمل، وما إذا كان ذلك يحتاج إلى تحفيز للإبداع وتغيير في برامج التعليم والتدريب أم لا.. ولكن في المقابل لا بد من التأكيد على أن البلدان الخليجية تمكنت من تحقيق تقدم نسبي في عملية توطين الوظائف.

لذلك فإنه تبقى عملية توطين الوظائف ضمن إطار الأهداف الوطنية الطموحة التي تسعى لتحقيقها كافة الحكومات الخليجية لضمان الرفاه للشعوب والأمن والاستقرار وإرساء أسس العدالة الاجتماعية، متطلبة مزيداً من التكثيف وتظافر جهود مختلف الجهات المعنية بقضايا التنمية البشرية والتشغيل ومواجهة تحديات البطالة في طريق إنجاح برامج وخطط التنمية الشاملة، هذا مع مراعاة عدم التعارض مع المواثيق والمعايير والاتفاقيات العربية والدولية.

ثانياً: ضرورة تطوير سياسات التوطين لتحقيق الأمن الوظيفي

من أجل تطوير سياسات التوطين لتحقيق الأمن الوظيفي للمواطن الخليجي لا بد من إقامة برامج عملية ، والعمل على وضع حوافز مبنية على أسس نفسية تشجع على المنافسة، وتجعل المواطن أكثر قدرة على التنافس بعيداً عن الواسطة وعن الهبات الحكومية، وهو ما يجب أن يتبلور على وجه السرعة؛ إذ أن بناء قدرات المواطن بعيداً عن التمييز يعد عنصراً أساسياً لإقامة مجتمع خليجي أكثر صحية وتنافسية.

ومن جانب آخر يقرر محمد ديتو بأن تحقيق سياسات

التوطين لأهدافها يرتبط بالإدارة السديدة لسوق العمل، حيث ذكر بأنها إذا كانت وزارة العمل معنية بتنظيم وإدارة تدفق العمالة الوافدة من جانب، والتصدي لتحدي البطالة بين المواطنين الشباب من جانب آخر، فإن إنشاء مؤسسات أو برامج جديدة (هيئة تنمية بأبوظبي لإدارة القوى العاملة – نوفمبر 1999، برنامج إعادة هيكلة القوى العاملة والجهاز التنفيذي للدولة في الكويت في 2001، وهيئة تنظيم سوق العمل (LMRA) في البحرين) قد أثبتت بأنها وسيلة مفيدة في بعض الحالات، وخاصة عندما يتعلق الأمر بتوفير خدمات متخصصة ، وشكل جديد من التعاون الثلاثي بين الحكومة وأرباب العمل وممثلي العمال، ويؤكد من جانب آخر بأنه يجب ألا نقع في فخ التبسيط واختزال الأمور ونعتبر أن إنشاء مؤسسات جديدة فقط يعد كافياً لإدارة سديدة لسوق العمل، حيث لا بد من التكامل المؤسسي في ذلك، ولا بد من توافر المعلومات الصحيحة والدقيقة عن سوق العمل، حيث إن هناك معايير دولية لإحصاءات العمل أبرزها الاتفاقية 160 المتعلقة بالإحصاءات الأساسية لسوق العمل، لا سيما وأن عالم أسواق العمل اليوم أصبح أكثر تعقيداً وتنوعاً من أن ترصده مؤشرات مهمة ولكن غير كافية مثل معدل البطالة، وأن من المهم جداً ألا يؤدي حل البطالة إلى بروز مشكلة نقص في التشغيل في أوساط المواطنين، حيث إن تكلفة ذلك ستكون باهظة ليس مادياً فحسب، بل اجتماعياً وسياسياً ؛ لذلك كان لا بد من التركيز على سياسات وبرامج توظيف الشباب والإناث كمنهج مستدام في تحقيق التوطين للوظائف.

ويذكر ديتو في ختام دراسته أبرز التحديات لتحقيق أسواق عمل منتجة ومستدامة في دول مجلس التعاون الخليجي من شأنها أن تحقق أهداف سياسات التوطين، وذلك في ظل تغير نمط مشكلة البطالة بين

العمالة الوطنية في دول المجلس، حيث يقرر بأنه لم تعد مشكلة البطالة كمية، بل أصبحت تتمثل في عدم تلبية التخصصات المطروحة في سوق العمل لمجالات التأهيل الأكاديمية. إن أبرز هذه التحديات يتمثل في تطوير بنية تحتية متطورة لمعلومات سوق العمل ترتكز على رصد المؤشرات الأساسية لمكونات العرض والطلب على العمل، وذلك ضمن إطار مؤسسي وتشريعي مناسب يضمن الشفافية لهذه المعلومات لخدمة الأطراف الثلاثة لسوق العمل، وفي ظل تأسيس هذا الرصد وفق المعايير الدولية فإن ذلك لا يغني عن الحاجة لقياس مؤشرات ذات صلة بخصوصية الوضع الخليجي، فعندما يتعلق الأمر بمعلومات سوق العمل فإنه من غير المهم فيما إذا كانت هذه المعلومات ترضي الناس أو تغضبهم، ما يهم هو قدرتها على كسب ثقتهم.

وإذا كانت سياسات التوطين وفق ما رسمته الجهود والبرامج قد حققت إلى حد ما احتواء لمشكلة البطالة بين العمالة الوطنية، فإن تحقيقها للأمن الوظيفي يبقى محل نظر في ظل التحديات التي لا زالت تبرز أمام سياسات التوطين في ظل مساعي القائمين عليها نحو تحقيق الأمن الوظيفي للمواطن الخليجي. وإذا كان الأمن الوظيفي كمفهوم يعني تحقيق المعروض في سوق العمل لتطلعات وطموح المقبلين على سوق العمل من ناحية الأجر المرصود أولاً، ومن ناحية تلبية طبيعة العمل لمؤهلات وتوجهات الفرد كذلك، فإن تحقيق العامل الأول لا زال غير متحقق في ظل إشغال الكثير من العمالة الوافدة في القطاع الخاص بأجور منخفضة ومهارات عالية، وكذلك الأمر بالنسبة للعامل الثاني إلى حد ما.

وختاماً : إن الأمن الوظيفي الذي تنشده سياسات التوطين ضمن مفهومه الضيق يتحقق - وفق ما أراه - من خلال الحصول على وظيفة بأجر مجزٍ وبما يتلائم مع المؤهلات والتخصص، فإن غياب الأمن الوظيفي المتمثل بعدم استقرار الدخل في القطاع الخاص باعتباره القطاع الأكبر الذي من شأنه أن

يغطي الطلبات الوظيفية في ظل حالة الاكتفاء الغالبة في القطاع الحكومي، إن هذا الغياب يقف دون تحقيق استراتيجيات الإحلال التي تعتبر أولى أولويات سياسات التوطين للعمالة المحلية، وهو ما يستلزم تجاوز الكثير من المعضلات في سبيل تحقيق الأمن الوظيفي من خلال هذا القطاع الهام والحيوي.

وإزاء هذا الطموح المتمثل في ربط أهداف سياسات التوطين بتحقيق استراتيجيات الأمن الوظيفي للمواطن الخليجي، فإنه لا شك من أن تضافر الجهود الإقليمية سبيل ناجع لتحقيق ذلك، ومن الاقتراحات المرصودة لذلك ما يلي:

- قيام كل دولة خليجية عند حاجتها لعاملين غير مواطنين في القطاع العام أو الخاص باستطلاع إمكانية سد احتياجاتها من مواطني دول المجلس الأخرى عن طريق الاتصال الرسمي أو عن طريق الإعلان ومكاتب التوظيف والتشغيل فيها.
- تسهيل انتقال العمالة الوطنية بين دول المجلس، وإزالة القيود الحالية على انتقالها.
- وجود تشريعات تضمن المعاملة المتساوية بين العمالة الوطنية والخليجية بما يحقق الطمأنينة الاجتماعية لمواطني المجلس في غير دولهم.
- ضرورة إنشاء مركز إقليمي يقوم على جمع وتبويب وتبادل المعلومات عن متطلبات سوق العمل الخليجي ورصد متغيراته في دول المجلس، والتعرف على واقع التركيبة العمالية الوافدة، والتركيبة السكانية والتوقعات المستقبلية لنمو العمالة المواطنة واحتياجات التدريب والإحلال.
- إقامة مشروعات خليجية مشتركة بين مواطني دول المجلس، واستخدام الأيدي العاملة الخليجية في العمل بهذه المشروعات.
- تحديث سوق العمل في الدول الخليجية بما يخفف من حاجته للعمالة الوافدة الهامشية، وبما يعجل من قدرته على خلق طلب على عمالة ماهرة ومدربة، ويحتم ذلك أن تتزامن جهود الإصلاح الاقتصادي في الدول الخليجية مع تطوير أسواق قادرة على استيعاب أكبر عدد ممكن من العمالة الوطنية، لا سيما من قبل القطاع الخاص، وفي الوقت نفسه تخفيف الاعتماد على العمالة الأجنبية.

وفي خضم هذه التحديات التي تقف أمام جهود وبرامج سياسات التوطين، فإن كثافة العمالة الوافدة ليس هي وحدها التي من شأنها إحباط وعرقلة تنفيذ أهداف هذه السياسات في سبيلها نحو تحقيق الأمن الوظيفي للمواطن الخليجي، وأن إدراك ذلك يكون من خلال التأكيد على تكامل حلقة الاتصال بين أرباب العمل والعمال والجهة المنسقة بينهما تحقيقاً للمصلحة العامة للوطن، ومن أجل عدم تغليب المصالح الفئوية على المصلحة العامة التي من شأن تغليبها الابتعاد عن بناء الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي والأمني الذي ينشده الجميع .

ولا شك أن تحقيق مستويات عالية من الأمن الوظيفي للمواطن الخليجي من شأنه أن ينعكس على استقرار الأمن الوطني، والذي يعود بالنفع على جميع القطاعات في الدولة.

ومن جانب آخر فإن عرقلة التحقيق للأمن الوظيفي من شأنه أن يفاقم من معدل الإجرام، حيث إن البطالة كظاهرة ترتبط بالعديد من الظواهر الاجتماعية التي من شأنها تهديد السلام الاجتماعي، فهي تؤثر على نظرة الأفراد للتعليم، علاوة على كونها سبباً في ظهور مجموعة من الأمراض الاجتماعية كالاضطراب النفسي والتوتر الانفعالي والإحباط؛ ولهذه الأعراض تأثيرات سلبية على السلوك الفردي على نحو يظهر في ارتفاع معدل الجريمة.

وبذلك فإن البطالة باعتبارها إفرازاً من إفرازات ظاهرة كثافة العمالة الوافدة في دول مجلس التعاون تمثل – في رأيي على نحو غير مباشر – محوراً رئيساً ينعكس على الخلل في الأمن الوطني ، وهي التي من شأنها أن تنعكس على تفاقم في معدلات الجريمة وانخفاض في مستوى الأمن الوطني السائد.

للإسلام أن يأخذ مكانته في أمريكا كما حدث للكاثوليك ولليهود

- عنوان الكتاب: رؤية إسلامية جديدة للغرب والمسلمين
- مؤلف الكتاب: فيصل عبدالرؤوف
- تقديم: كارين أرمسترونج
- ترجمة: محمد فاضل
- الناشر: مكتبة الشروق الدولية -روكسي -القاهرة.
- عدد الصفحات: ٣٤٣ صفحة .

عرض وتحليل: عبدالقادر الزين

في هذا الكتاب يتحدث فيصل بن عبدالرؤوف من القلب عن الأرضية السامية التي يمكننا جميعاً أن نتوحد فوقها، إنه كتاب – كما قالت عنه صاحبة الجلالة الملكة نور من الأردن الشقيق – مفعم بالأمل.

ويذكر هنا أن فيصل عبدالرؤوف ولد لعالم أزهري نشر أفكاره بمصر وفي الولايات المتحدة الأمريكية، وفي ماليزيا وكان له سهم كبير في إنشاء الجامعة الإسلامية هناك. ويعمل من خلال مؤسسة « مبادرة قرطبة » التي يرأسها على تبادل الفهم والمعرفة بين أتباع الأديان الإبراهيمية وبينهم وبين الآخرين.

يجب على أمريكا أن تقترح حلولاً جذرية للصراعات الثلاثة الطويلة الأمد

وقد هام فيصل بالثقافات الثلاث فهو مسلم مصري عربي آسيوي أمريكي، وتوج ثقافته وتجاربه بسلوك طريق الإنسان العالمي، والعمل الدائم على معرفة الآخر، وتمهيد السبل للعيش معه في وئام وتناغم وازدهار إنساني.

وتوترت العلاقات بين الغرب والإسلام لقرون طويلة وجاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر وما تلاها لتصنع عالماً جديداً أشد تناحرا واشتعالا إن لم يكن عداءً، ومع ذلك يرى المؤلف أن هناك أوجه تشابه كثيرة بين جوهر الإسلام وجوهر الثقافة الأمريكية، ويرى أيضاً أنه بالعمل المدروس الذي ينطلق بدايةً من معرفة الآخر والحفاظ على حقوق الإنسان المشروعة لدى الجانبين، وهنا يمكن للإسلام أن يأخذ وضعه الصحيح في أمريكا كما حدث للكاثوليك، وكما حدث لليهود

ما يفعله حوار الأديان:

حول هذا السؤال ماذا يمكن أن يفعله حوار الأديان أجاب المؤلف بأن الدين يتعلق بربط البشرية بالله ولم يكن المقصود منه أبداً إثارة العنف والعداوة بين الشعوب، فهو بمثابة المزيل للحجر التي تمنعنا من كسب المعرفة بالحقيقة الوحيدة الصادقة، والشعائر الدينية التي نمارسها تقاس بمدى تحقيق هذا الهدف بنجاح .

وبين المؤلف أن حوار الأديان في العصر الحالي حركة جوهرية تظهر للعالم أن الأديان ليست السبب الرئيس

للصراع، وإن بدت لدى المتخاصمين أنها السبب الرئيس، وأن الأعمال الوحشية أو غير الإنسانية التي ترتكب باسم الدين ليست من الدين ولا يقر بها أصلاً، وقال يجب أن نبرز حقيقة الدين بدءاً من التسامح والفهم والتعاون والاحترام المتبادل .

لقد تحدث المؤلف عن الجذور المشتركة بين الأديان معرجاً في حديثه على ذكر شيء من إيجابيات الإسلام، وبين أن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم جاء بدين الإسلام ليكمل به الديانات السابقة كلها منذ دين إبراهيم الخليل عليه السلام إلى جميع الأنبياء والمرسلين، وأكد أن القيم التي دعا إليها النبي محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن مقرراً لها بل هي قيم سابقة الوجود تعبر عن حقائق خالدة، وقال إن محمداً بما يحمله من مروءة وصفات حميدة نال لقب الإنسان الكامل بصدقه وأمانته وتواضعه وسمعته الطيبة فكان كل من يريد السفر يودع أمواله وممتلكاته عنده ليحفظها له.. وظهرت رجاحة عقله في التحكيم بين المتنافسين فيمن يضع الحجر الأسود في مكانه وهم يبنون الكعبة، وأضاف المؤلف بأن المسلمين يرون أن النبي صلى الله عليه وسلم لخص لهم وأوجز كل الرسالات التي أتى بها الأنبياء السابقون تماماً .

رؤية جديدة للمسلمين والغرب:

يرى المؤلف بأنه من الضروري العمل على إعادة العافية إلى العلاقات بين العالم الإسلامي والغرب، وأكد بأن هذه الرؤية تعني أنه يجب على أمريكا أن تبذل كل ما في وسعها للمساعدة في مناصرة قيام عالم إسلامي قوي واثق بذاته يستطيع أن يفي بمبادئ المجتمع الإسلامي الصالح، وأشار إلى الرؤية التي كانت مطلوبة في الماضي وتساءل عن كيفية تغيير العقول وكسب السلام، وأفصح عن إمكانية أمريكا إذا هي غيرت سياستها الخارجية أن تصمم سلاح السلام الشامل بين العالم الإسلامي والغرب، وأن تساهم في تحقيق أهداف رئيسة له هي: الحرية الاقتصادية التي تعني التحرر من الفقر للمسلمين على مستوى العالم، وسيادة القانون بالنسبة للمسلمين في شتى أنحاء العالم، والذي يتضمن العدالة والأمن والتحرر من الخوف، ومشاركة عامة وأوسع في صناعة القرار مع حماية حقوق الإنسان، ومبدأ فصل السلطات المحدد إسلامياً، ويرى المؤلف أنه يجب على أمريكا أن تقترح حلولاً جذرية للصراعات الثلاثة الطويلة الأمد: الصراع العربي الإسرائيلي والذي سوف ينهي التوتر (الإسلامي اليهودي)، والصراع على كشمير بين الهند وباكستان والذي سوف ينهي التوتر الديني (الإسلامي الهندوسي)، والصراع بين روسيا والشيشان، والذي ينهي التوتر الديني (الإسلامي المسيحي)، ثم يدعو لتحقيق الأهداف السابقة بالحصول على مشاركة الأمم المتحدة والمنظمات العالمية التي تسعى إلى تحقيق نفس الأهداف لأنه لايمكن تحقيق تغيير سريع إلا عندما تتضافر الجهود، فالمؤلف يريد الوصول إلى أن المبادرات الإستراتيجية تصل دائماً إلى نتائج مرضية .

التماس السعادة:

إن الكتاب الذي بين أيدينا يريد أن تدوّي قيم : الحياة، الحرية، والتماس السعادة.. في أرجاء المعمورة، موضحاً أنها قيم عالمية مطمورة في فؤاد الإنسان، وتحتاج من ينبشها بدفء واحترام.. ليس بدور الشرطي العظيم، وإنما عن طريق التعاون، والتعددية،والحوار، وبناء الصداقات، وهذا هو طريق الأمل.

وقد بين المؤلف في كتابه ما يدعو إليه دين الإسلام وما يمكن أن يقدمه للغرب بدلاً من التركيز على ما حدث من أخطاء، والكاتبة كارين قالت في تقديمها للكتاب بأن المؤلف يعتبر نموذجاً للمسلم الذي يمكن أن يتحدث إلى الشعوب الغربية باللغة التي يفهمونها.

ويحتوي الكتاب على رسائل إيجابية تساعد في الوصول إلى مخرج من المأزق الحالي.. بتعلم التسامح.. والتقدير والاحترام بين المسلمين والشعوب الغربية. بل هناك علماء أكدوا أن إسلاماً صحيحاً وفاعلاً كفيل بأن يحسم الأمر بالسلام العالمي المنشود.

فَـــقْـــرُ النساء:

العوامل والاصول دراسة لحالة المرأة الأردنية

د.عبلة راجي الوشاح

يعرَف الفقير بأنه الشخص الذي لا يستطيع تلبية الحد الأدنى من الاحتياجات الأساسية الغذائية وغير الغذائية كالملبس، المسكن، التعليم، الصحة والمواصلات (ا). وكما ورد في باب محاربة الفقر في تقرير التنمية العالمية (٢٠٠٠/٢٠٠١)، يتمثل الفقر إلى حد كبير في انعدام الفرص بسبب عدم كفاية الدخل والتعليم والتغذية وضعف الحالة الصحية وقصور التدريب أو بسبب عدم القدرة على العثور على عمل يجزي القدرات الموجودة لدى الشخص الجزاء الأوفى.

فقر النساء

يعد فقر النساء إشكالية يندرج تحتها منظومة من المشكلات الفرعية المتنوعة؛ فالمرأة بصفتها محور الحياة الأسرية والأسرة محور الحياة الاجتماعية، فإن أي قضية تمسها أو تؤثر على عطائها وأدوارها الاجتماعية ستؤثر بالتالي على حياتها الزوجية والأسرية وتنشئة أبنائها، الأمر الذي يعني أن للمرأة دوراً كبيراً في التنمية. وأثبتت تجارب العديد من الدول أن مكافحة الفقر بين النساء يؤدي إلى رفاه المجتمع ككل، ليس فقط لأن المرأة تشكل نصف المجتمع من الناحية العددية، ولكن لأن الزيادة في دخل النساء تؤدي إلى زيادة إنفاق الأسرة على التعليم والصحة والتغذية أكثر مما تؤدي إليه الزيادة في دخل الرجل، وبالتالي زيادة رأس المال البشري للمجتمع كله، ناهيك عن مردود التعليم على معدل الإنجاب وتغذية الأطفال وصحتهم.

الانتباه الدولي لاشكالية فقر النساء:

برز التلازم بين المرأة والفقر سنة (1994) أثناء انعقاد المؤتمر الإفريقي للمرأة، وسنة (1995) أثناء المؤتمر العالمي الرابع للمرأة المنعقد في بكين. وانبثق مفهوم «تأنيث الفقر» من الاتجاه العام الملاحظ نحو تدهور الظروف المعيشية للمرأة، وارتفاع نسبة الأسر التي تكون ربة الأسرة فيها امرأة تعول أطفالاً. وفُسرت هذه الاتجاهات بعوامل اقتصادية، لا سيما برامج التكيف الهيكلي وعوامل أخرى بيئية وديموغرافية، واقترحت عوامل أخرى خاصة بالمرأة خلال هذه المؤتمرات لاسيما تلك المتعلقة بالأدوار المناط بها بالمرأة وبالرجل وبمختلف أوجه عدم المساواة المترتبة عليها والتي تعاني منها المرأة من حيث عدم كفاية الدخل والوقت والفرص والقدرات، كما تم الإقرار بالاختلاف القائم بين المرأة والرجل من حيث أسلوب معايشة الفقر والوسائل الكفيلة بالتغلب عليه. ولذلك يصبح من المهم تحليل جميع هذه الاختلافات بُغية تحديد أفضل الوسائل اللازمة لمكافحة الفقر.

في الدول العربية والمملكة الاردنية الهاشمية:

تعاني النساء من الفقر البشري في المنطقة العربية ككل بدرجة أكبر من الرجال فهناك (32) امرأة فقيرة من بين كل (100) امرأة تعيش في المنطقة والرقم المقابل للرجال هو (19) فقير من بين كل (100) رجل، وينطبق ذلك على كل الدول العربية ما عدا الإمارات حيث تزيد نسبة الفقر البشري بين الرجال عن النساء وتصل الفجوة النوعية أقصاها في سوريا تليها تونس وليبيا و لبنان (2)، وفي الأردن أظهرت نتائج مسح نفقات الأسرة للعام (2005م) فيما يتعلق بمستويات الفقر في الأردن، أن نسبة السكان الفقراء في المملكة قد بلغت (14،7%) مقارنة بما مقداره (14،2%) في عام (2002م)، وبلغت نسب السكان الفقراء في كل من الحضر والريف (13،1%) و(22،8%) على الترتيب، في حين كانت النسبة في عام (2002) (12،9%) للحضر و(18،7%) للريف. أما على مستوى الأسر فقد بلغت نسبة الأسر الفقيرة في المملكة (11%) مقارنة بما مقداره (10،5%) في عام (2002م). (3)، ولم تكن التشريعات والسياسات المتعلقة بالفقر تستند إلى الفروقات النوعية، على أساس أن ما ينطبق على الرجال ينطبق على النساء، إلا أنه ومنذ اعتمدت الحكومة الإستراتيجية الوطنية للمرأة عام (1993م) أصبح هناك إقرار رسمي بضرورة إيلاء النساء الفقيرات عناية خاصة من خلال توفير الخدمات التي تهدف إلى تحسين الأوضاع الاجتماعية والصحية والتعليمية لهن ولأسرهن، إضافة إلى بعض الإجراءات الأخرى المتعلقة بالنساء العاملات في الأعمال الموسمية وفي القطاع غير المنظم (4).

وفي إطار متابعة تنفيذ خطة عمل وتوصيات المؤتمر الدولي الرابع للمرأة (1995م) من قبل الأردن فقد

تم إعداد برنامج عمل وطني للنهوض بالمرأة الأردنية (1998-2002م) من قبل المؤسسات الحكومية والمنظمات غير الحكومية، وتم التركيز على محور الفقر كأحد المجالات الحاسمة.

وتحتل المشاريع والبرامج التي تعالج الفقر في الأردن أهمية مركزية، كما تحتل موضوعات الفقر والمرأة حيزًا مهماً؛ فعلى صعيد السياسات العامة الناجحة تم الإعلان عن الإستراتيجية الوطنية للحد من الفقر في آذار (2002)، وتهدف الإستراتيجية إلى تحسين الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للفقراء بشكل عام انسجاماً مع الغايات والأهداف الإنمائية للألفية (2000) ولاسيما الغاية رقم (1). وبالرغم من أن الإستراتيجية تتخذ من الأسرة وحدة أساسية، فان المرأة تعتبر مستهدفاً أساسياً من البرامج التي من الممكن أن تنبثق عن الإستراتيجية، فتحدد الإستراتيجية على سبيل المثال المنتفعين من برامج المعونة النقدية الطارئة والاستثنائية لتلك الأسر التي دخل معيلها السجن، أو أن معيلها قد أصابه المرض، أو توفي خلال الشهرين السابقين. كما أنها تحدد الأسر التي ترأسها امرأة مطلقة أو أرملة كمنتفع من برامج المعونة النقدية المتكررة ونشهد في الأردن الآن تركيزاً للبنى المؤسسية في الأجهزة المعنية بالفقر كصندوق المعونة الوطنية والذي يقدم المعونة للمنتفعين سواء أكانت معونة نقدية تصرف لمرة واحدة أو أن تكون معونة نقدية شهرية متكررة، كما تم تضمين الإستراتيجية الوطنية المحدثة للمرأة الأردنية قسم خاص بالنساء الفقيرات ضمن محور الأمن البشري والحماية الاجتماعية يتضمن إجراءات تشمل التعريف بواقع احتياجات المرأة الفقيرة من جميع النواحي حتى يتم وضع برامج تهدف إلى تقليص نسبة الفقر، وضمان إمكانية حصول المرأة الفقيرة على عناية صحية كافية وفرص تعليمية، وتحسين أمنها الاقتصادي بزيادة فرص تشغيلها من خلال برامج تنموية في الريف والحضر(5).

وبالرجوع إلى بيانات صندوق المعونة الوطنية تبين أن نسبة النساء الفقيرات اللواتي يتقاضين معونة شهرية متكررة (44%) من الأسر التي تتقاضى معونة شهرية متكررة. ويعتمد صندوق المعونة الوطنية معيار خط الفقر لتقدير حاجة الأسرة إلى المعونة والذي يعرف بأنه «هو مقدار الدخل المحدد من الجهات الرسمية، والذي يعتمد من قبل مجلس إدارة الصندوق، ويكون كافياً لتلبية الحاجات الأساسية للفرد أوالأسرة حيث يعتبر من يكون دخله أقل منه بحاجة للمساعدة للوصول إلى هذا الخط». (6).

وعلى الرغم من أهمية التطرق لوضعية المرأة الفقيرة، ينبغي التساؤل عن الأسباب الكامنة وراء وضعيتها وعن العوامل والأصول، لاسيما قابليتها للتأثر بالفقر وحالة الاستضعاف التي تصيبها إضافة إلى أهمية الوقوف على الأوضاع والصعوبات، وللتعرف أيضاً عن كثب على العوامل والأصول أي «الأسباب الكامنة وراء فقر المرأة والذي ينسحب على أفراد أسرتها أيضاً».

العوامل والاصول

- **الزواج المبكر:**

يشيع الزواج المبكر بين النساء الفقيرات، فأغلب النساء الفقيرات يتزوجن قبل بلوغهن سن العشرين من العمر، الأمر الذي يعني أن مواجهة هؤلاء السيدات للفقر ستكون أصعب لأن الزواج المبكر يعني الحرمان من التعليم وبالتالي تناقص فرص العمل مما سينعكس سلباً على المستوى المعيشي لهؤلاء السيدات ولأفراد أسرهن. فهي تعول على الزوج في كل أمور حياتها عند الزواج ولا تفكر أنها قد تفقد زوجها يوماً ما لسبب أو لآخر والذي هو معيلها.

- **توالي الإنجاب:**

إن توالي الإنجاب للمرأة يعني قلة الفرص أمام المرأة للعمل إن لم تكن إنعدامها، فالأحمال المتوالية والمتكررة ستؤثر سلباً على قدرتها الجسمانية للخروج إلى سوق العمل أو إكمال تعليمها.

حجم الأسرة الأصل:

إن كبر حجم الأسرة له الأثر الكبير على مسيرة حياة المراة، فكبر حجم الأسرة وقلة الفرص أمامها وإمكانية أن تتعرض للزواج المبكر الأمر الذي يعني انسحابها المبكر من التعليم وبالتالي عدم قدرتها على دخول سوق العمل. تشير بعض البحوثات بأن حجم الأسرة الكبير نسبياً أسهم في دفع الفتيات للبحث عن فرصة للزواج والاستقلالية، بدون التفكير في تبعات هذا الزواج، فمعظم المبحوثات من اللواتي نشأن في أسر كبيرة حاولن الهروب من الواقع الاقتصادي والاجتماعي لتلك الأسر والبحث عن أقرب فرصة للخروج، فحجم الأسرة الكبير في بيوت صغيرة سيولد مشاكل اجتماعية ونفسية خاصة لدى الفتيات.

الانسحاب المبكر من التعليم:

تشير النتائج إلى أن نسبة النساء اللواتي سبق لهن وأن التحقن بالمدرسة قد بلغت (54،5%)، وإذا كان أكثر من نصف المبحوثات (55%) قد سبق وأن التحقن بالمدرسة فإن نسبة اللواتي لم يلتحقن أبداً كانت عالية (45%)، الأمر الذي يفسر ارتفاع نسبة الأمية بنفس الدرجة بينهن، وأن من التحق منهن بالمدرسة حصلن على مستويات تعليمية مختلفة كانت أعلاها مستوى الثانوية العامة وبواقع (18،1%) تلتها المرحلة الإعدادية والابتدائية بواقع (17،6%) و(13،3%) على التوالي، في حين أظهرت أن (3%) قد حصلن على الدبلوم المتوسط و(0،6%) هن معلمات و (0،6%) قد حصلن على الدرجة الجامعية الأولى.

الإرث والحصول عليه:

إن معظم السيدات اللواتي يواجهن الفقر قد لا تكون لديهن معرفة عن الإرث وكيفية توزيعه، وقد يكون عدم المعرفة هو السبب في وصول المرأة إلى هذه الحال من الفقر، وتبين أن (59%) من النساء الفقيرات ليس لديهن أية معرفة بتوزيع الإرث حسب الشريعة، في حين أن (20،9%) من هؤلاء النساء لديهن معرفة بسيطة عن توزيع الإرث حسب الشريعة، وباقي المبحوثات لديهن معرفة بشكل جيد وبواقع (20،1%). إن (86،5%) من

النساء المبحوثات لم يسبق لهن وأن ورثن شيئاً، الأمر الذي قد يفسر بأن الفقر موروث ومتناقل بين الأجيال، ولمعرفة وجهة نظر هؤلاء النساء في حق المرأة في امتلاكها للأموال المنقولة، تبين أن ما نسبته (95،7%) كان رأيهن أن المرأة لها الحق في امتلاك الأموال المنقولة، وأن (4،3%) كان رأيهن أن المرأة لا يحق لها أن تمتلك شيئاً. وقد أجمعت معظم هؤلاء النساء على أن هناك انتهاك من قبل الرجل لحق المرأة في الإرث، وذلك بحكم الثقافة التقليدية السائدة بأن الميراث يقسم بين الرجال فقط، ويقتصر نصيب المرأة على القليل من الأعطيات برغبة من الرجل.

سبب الفقر من وجهة نظرهن:

جاء ارتفاع الأسعار وتدني مستوى الدخل في المرتبة الأولى إذ ذكرن (80%) منهن على الأقل، وجاءت البطالة في المرتبة الثانية إذ ذكرتها نصف النساء تقريباً، في حين أشارت (43%) إلى الزواج المبكر كسبب في الفقر، وأن ما نسبته (39،7%) أشرن إلى وجود الفقر في الأسرة الأصيلة، ومن أهم الأسباب الحرمان من التعليم، وكبر حجم الأسرة الأصل. أما الأسباب الأخرى فكانت الحرمان من العمل (بسبب معارضة الأهل) وبواقع (20،4%)، البعد عن مواقع الإنتاج والخدمات وبواقع (19،9%)، الخجل والعيب من مزاولة فرص العمل المتاحة وبواقع (17،6%)، نظرة المجتمع السلبية للمرأة والتي تحد من مساهمة النساء في الأنشطة الاقتصادية وبواقع (16،4%) تهميش الأنثى وإبعادها عن قرارات الأسرة في أسرة الزوج والأسرة الأصل بواقع (14،7%) بالإضافة إلى عدم رغبة صاحب العمل بتشغيل الإناث وبواقع (13،2%).

النتيجة المتوقعة:

■ **انتقال الفقر إلى الأبناء:**

إن حالة الفقر التي تعيشها معظم أسر هؤلاء النساء سينتقل إلى الأبناء؛ لأن حالة الفقر هذه تحرمهم من تلقي مستوى الرعاية التعليمية الجيدة، فعدم قدرة الأم على تأمين المتطلبات المادية لتعليم أبنائها في الجامعات والكليات سيؤثر على مستقبلهم الوظيفي، وقد تسرب العديد من أبناء المبحوثات من المدارس وتوجهوا إلى سوق العمل المهني الذي لا يؤمن لهم الحد الأدنى من متطلباتهم المعيشية، أو يتسربون إلى الشوارع معرضين لخطر الانجراف في مشاكل المخدرات وغيرها، كما تشير بعض المبحوثات إلى أن الأبناء يعتمدون كلياً على راتب صندوق المعونة الوطنية، وفي حال منع هذا الراتب عنهم سيشكل تهديداً لأفراد الأسرة.

كلمة أخيرة

يعتبر الشعور بالحرمان هو السبب الرئيس للفقر، حيث شعور الفقير بالحرمان يؤدي إلى مشاكل نفسية واجتماعية عديدة، فمعظم الأسر الفقيرة تعاني من العزلة الاجتماعية. وكشفت الدراسة عن مظاهر متعددة للإحباط واليأس والعجز وعدم القدرة على التصرف. ويلجأ الكثير من السيدات المبحوثات إلى الإيمان بالقدرية كنوع من تفسير أسباب فقرهن كأحد السبل للتخفيف عن أنفسهن.

لذلك يجب أن تتجه المنظمات النسوية من خلال برامج تمكين للنساء وبشكل خاص في المناطق الريفية لمساعدتهن على إعادة الثقة بأنفسهن وقدرتهن على التغيير، وأن تتناول هذه البرامج تعريف النساء بحقوقهن السياسية والاجتماعية، وتقدم لهن المعلومات الضرورية للوصول إلى الخدمات ومؤسسات الإقراض. وبضرورة تقديم الدعم النفسي والاجتماعي لهؤلاء النساء من أجل زيادة الثقة بالنفس، وتعزيز فكرة أن المرأة تستطيع أن تتحمل أعباء ومسؤوليات الأسرة من خلال مثابرتها وزيادة وعيها في كيفية الإفلات من فقرها وتحسين المستوى الاقتصادي والاجتماعي والنفسي لها ولأفراد أسرتها.

المصادر

- البنك الدولي ووزارة التخطيط والتعاون الدولي (2004م)، دراسة تقييم الفقر في الأردن، عمان، الأردن.
- دائرة الإحصاءات العامة (2006م)، تقدير مؤشرات الفقر بالاعتماد على مسح نفقات الأسرة للعام 2005م، عمان، الأردن.
- اللجنة الوطنية لشؤون المرأة (1998م)، برنامج العمل الوطني للنهوض بالمرأة الأردنية 1998 – 2002م، في إطار المتابعة على تنفيذ خطة العمل وتوصيات المؤتمر الدولي الرابع للمرأة بيجين 1995م، عمان، الأردن.
- جامعة الدول العربية (2006م)، التقرير العربي الموحد لرصد جهود الدول العربية في النهوض بأوضاع المرأة (إنجازات وتحديات وتطلعات)، وحدة المرأة.
- صندوق المعونة الوطنية (2007م)، دليل تعليمات المعونة والتأهيل رقم (1) لسنة 2004م وتعديلاتها، عمان، الأردن.

- World Bank (2000), World Development Report 2000/2001: Attacking Poverty. Johns Hopkins University Press. Baltimore, Maryland, USA.

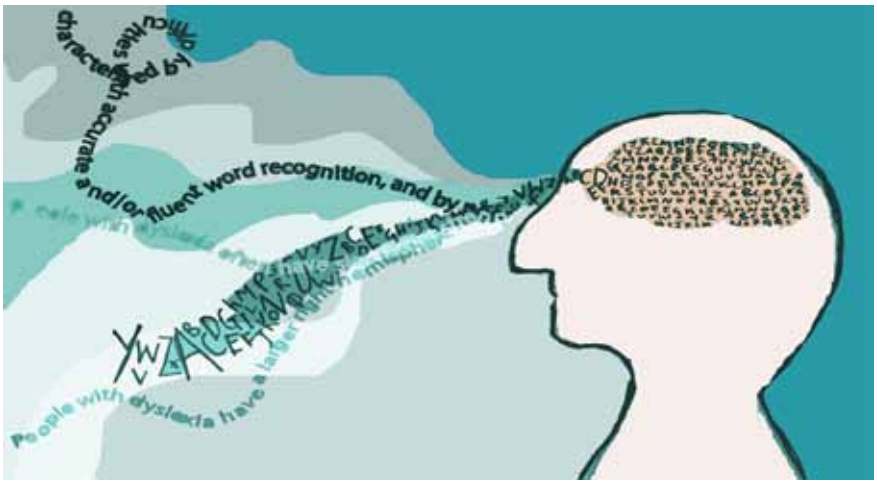

عسر القراءة والفهم لدى الأطفال (الديسليكسيا)

د. هدى صباح

تعثّر القراءة والكتابة عند الطفل تظهر بدرجات مختلفة مع الإشارة إلى أنه في التشخيص من الضروري ألا يكون الطفل يعاني تخلفًا عقليًا أو مشكلات صحية أو مشكلات في السمع، ويجب تقويم حالته من خلال اختبارات الإملاء والقراءة والفهم لتحديد درجة الـ Dyslexia لديه، كما أن الأعراض تعتبر مؤشرًا.

ويتم العمل على معالجة الحالة ببذل الجهد معه لتحسين طريقته في القراءة علمًا أن المختص يتعامل مع الطفل - في هذه الحالة - بطريقة مختلفة عن طريقة المعلّمة في الصف، فمن الضروري أن نعرف نقاط ضعفه حتى نتمكن من العمل عليها بطرق مختلفة بحسب الحالة.

كما أن الأطفال الذين يعانون من عسر في القراءة والكتابة يحتاجون إلى الثقة بالنفس قبلً كل شيء ؛ لذا تكمن مهمة الوالدين الرئيسة في منح الإحساس بالتقدير وفي لفت الانتباه إلى قدرات الطفل، وينبغي الاعتراف بكل جهد يقوم به والثناء على أصغر النجاحات التي يحققها، لأن هذا يعزز الثقة بالنفس وكذلك العلاقات الأسرية لكونها أكثر أهمية من العلامات المدرسية الجيدة حيث إنها تساهم بشكل حاسم في التغلب على عُسر القراءة والكتابة، والإلمام بأسس الأساليب الفكرية المؤثرة في عقلية الطفل، ومنها رواية القصة، ومخاطبة الأطفال على قدر عقولهم بالحوار الهادئ حيث تلعب القصة دورًا هامًا في جذب انتباه الطفل والارتقاء بمهاراته الفكرية والعقلية لما لها من متعة ولذة، وتتطور اللغة لدى الأطفال من خلال التحادث معهم والحوار عما تمت قراءته وإهداء الكتب أو زيارة المكتبات.

وخير مثال لذلك القصص التي ترتكز على حقائق ثابتة بعيدة عن الخرافة والأساطير وتغرس في نفسية الطفل الأصول الإسلامية التي لا يجف نبعها ولا ينضب ما ؤها، فالطفل كإنسان له حدود لا يستطيع تجاوزها فعقله وفكره ما يزالان في ريعان النمو والتوسع، فعلى الوالدين إدراك درجة نمو عقل طفلهما ليسهل عليهما حل كثير من المشكلات إذ عندها يعرفون متى يخاطبون، والكلمات التي يستعملونها والأفكار التي يقدمونها كما أن الحوار الهادئ يوسع مدارك الطفل ويستثير رغبته في الاطلاع على حقائق الأمور ومجريات الأحداث وبالتاالي تحدث الانطلاقة الفكرية؛ لأنه تدرب في بيته بينه وبين أفراد أسرته على أدب الحوار وطرقه وأساليبه.

كما أن إدخال الفرح والسرور إلى نفسية الطفل له أثر إيجابي في تنمية شخصيته، وبالتالي فإن العزف على هذا الوتر في نفوس أطفالنا سيورث الانطلاقة والحيوية لديهم ويساعدهم على تلقي الأوامر والتوجيهات والاستجابة لها.

ولنا في رسول الله أسوة حسنة فقد حضنا عليه الصلاة والسلام على الرفق بهم واجتناب العنف .. جاءعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على

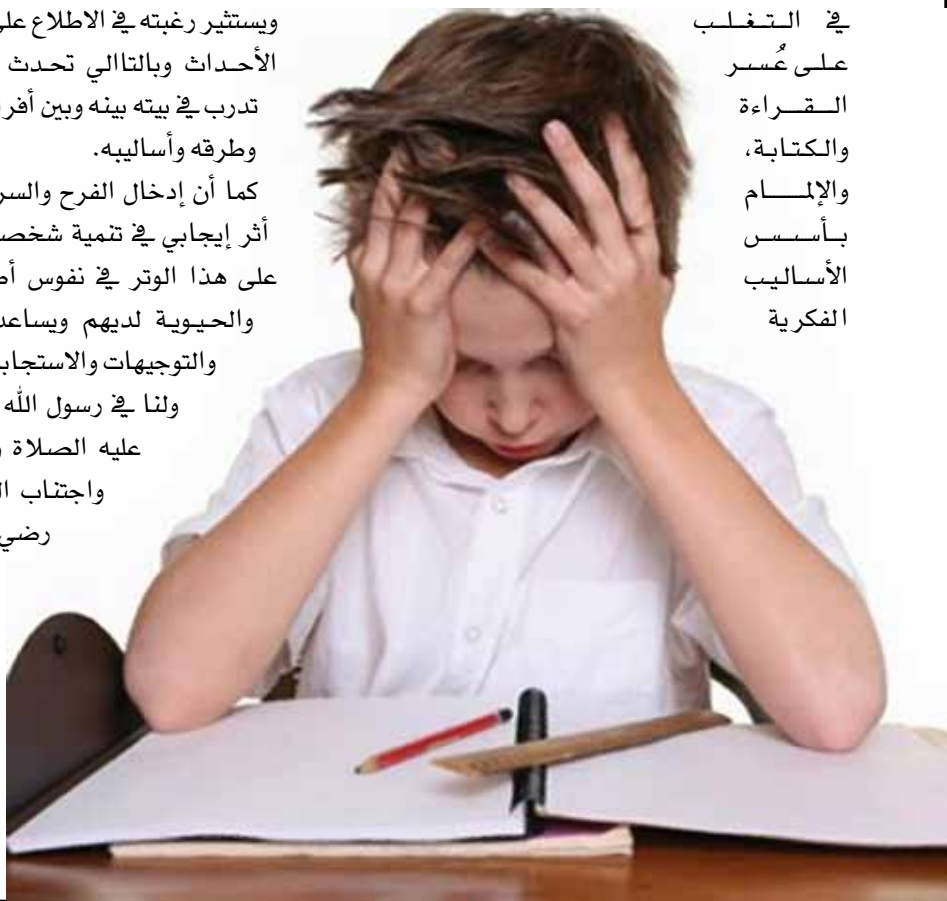

ما سواه) وعنها أيضا قال رسولنا الكريم: (إن الرفق لا يكون في شـيء إلا زانـه ولا ينـزع مـن شيء إالا شانه) رواه مسلم .

أثرالانترنت الشبكة العنكبوتية (The Internet) في الأطفال المتعثرين قرائيًا.

يؤثر الانترنت على الأطفال تأثيرًا كبيرًا حيث أصبح جزءًا لا يتجزء من حياتنا اليومية، كما أنه أصبح لا يقتصر على فئة عمرية بعينها، ومن هذا المنطلق يجب توعية أولياء الأمور بتأثير استخدام الانترنت على الأطفال عامة وأطفال الديسيليكسيا خاصة، فمن ضمن أثاره السلبية أنه يضعف شخصية الطفل، ويضعف من قدرته على التواصل مع الآخرين، كما يؤثر سلبًا على علاقاته الاجتماعية والأسرية، فهؤلاء الأطفال بحاجة إلى الإشباع العاطفي المتوفر في القراءة الجهرية(loud reading) عن القراءة الصامتة عبر الانترنت وهذا ما هو شائع الآن مع الدخول إلى عصر الشاشة الإلكترونية.

فالقراءة بصوت مرتفع هامة جدًا لإعداد الطفل ووضعه على طريق التعلم ولا بد من المداومة على قيامهم بهذا الأسلوب طيلة مراحل التعلم، فنمو فالقراءة بصوت مرتفع مع الطفل تمكنه من تنمية مهاراته اللغوية ليس فقط في الحياة الدراسية بل وفي الحياة العامة أيضًا.

ما هو عسر القراءة

عُسر القراءة أو الـ)ديسليكس(Dyslexia مصطلح يوناني استحدثه «رودولف برلين أواخر العام 1800م . وقد أجمع علماء الاتحاد العالمي لطب الأعصاب على تعريف الديسليكسيا (عُسر القراءة) بأنه اضطراب ينجم عنه صعوبة تعلم القراءة على الرغم من توافرالمكونات الأساسية للظروف البيئية المحيطة والذكاء الكافي والفرصة الاجتماعية والثقافية الملائمة، ويصاب الطفل بإعاقة إدراكية جوهرية كثيرًا ما تكون من أصل صحي.

أما الرابطة الدولية لعسر القراءة والكتابة فقدعرفت المشكلة بأنها اضطراب وراثي يتسبب في صعوبة تعلم ومعالجة اللغة استماعًا وتعبيرًا، ويشتمل على مشكلات في النطق والقراءة والكتابة والإملاء وأحيانًا في الرياضيات، وعلى الرغم من أن أطفال الديسليكسيا تقع معدلات ذكائهم ضمن المعدلات الطبيعية فهم يتميزون عادة بأسلوب مختلف في مواجهة المشكلات وحلها، ويُذكر أن بعضًا من المشاهير قد عانوا أعراض «الديسلكسيا» ومنهم: «ليوناردو دافنشي»، و«وينستون تشرشل»، و«بابلو بيكاسو»، و«الكسندر غراهام بل»، و«ألـبرت آينشتين»، و«محمد علي كـلاي»، و«والـت ديزني»، وغيرهم.

إذن فمشكلة عسر القراءة هي صعوبة تعلم تتعلق بكيفية استقبال الدماغ للمعلومات وكيفية تنظيمها وترتيبها وتخزينها ثم استرجاعهاعند الحاجة، وهي غير ناتجة عن إعاقات نمائية عامة أو حسية، وغالبًا ما يقرأ المعسرون قرائيًا ببطء شديد، أو تكون لديهم صعوبات كثيرة في التهجئة، وهو خلل محدد ذو أصل تركيبي يتميز بصعوبة تفكيك رموز الكلمة المنفردة، مما يعكس عدم كفاية في المعالجة الصوتية، وتحويل الكلمات المكتوبة إلى أصوات.

العلامات والأعراض

تختلف أعراض عُسر القراءة وفقا لشدة الاضطراب، وكذلك بالنسبة لعمر الطفل المصاب.

- أطفال ما قبل سن المدرسة

من الصعب الحصول على تشخيص بوجود عُسر القراءة قبل أن يبدأ الطفل في الذهاب للمدرسة، ولكن العديد من الأفراد المصابين لديهم تاريخ من الصعوبات التي بدأت قبل الروضة، والأطفال الذين تظهر عليهم هذه الأعراض يواجهون مخاطر أكبر ليتم تشخيصها على أنها ديليكسيا من الأطفال الآخرين، ومن هذه الأعراض:

- التأخر في الكلام.
- بطء اكتساب الكلمات.
- صعوبة تقفية الكلمات (نطق الحرف الأخير من الكلمة أو من بيت الشعر في الأناشيد).

يصعب عليهم تعلُّم
وحفظ الحروف
الأبجدية

- أطفال المرحلة الابتدائية المبكرة
- صعوبة تعلم الحروف الأبجدية والربط بين الأصوات والحروف التي تمثلهم.
- صعوبة تحديد أو توليد كلمات مقفية، أوعد المقاطع في الكلمات مع عدم القدرة على تجزئة الكلمات إلى الأصوات الفردية، أو تكوين الكلمات.
- الخوف من القراءة بصوت مرتفع.
- صعوبة كتابة حروف المد.
- صعوبة كتابة التنوين والخلط مع النون.
- صعوبة كتابة الفعل المضارع معتل الآخر بالواو مع (واو الجماعة).

أعراض صعوبات في تعلم الرياضيات:

- صعوبة الربط بين الرقم ورمزه.
- صعوبة تمييز اتجاهات الأرقام (2.6 .7 .8).
- صعوبة الأرقام (25 . 52).
- صعوبة إجراء العمليات الحسابية (الجمع . الطرح).
- صعوبة في فهم القيمة المكانية للرقم (آحاد . العشرات).
- صعوبة استرجاع كلمة وافتقار مهارات فك شفرة الكلمات.
- صعوبة التمييز بين أصوات مماثلة في الكلمات مع خلط الأصوات في نطق كلمات متعددة المقاطع.
- صعوبة نطق ألفاظ الكلمات الطويلة أو المعقدة.
- نطق الكلمات معكوسة، مثل: باسكتي بدل سباجتي.
- عدم التفريق بين الكلمات التي تتشابه (زاوية . راوية).
- التلاميذ الأكبر عمرًا
- بطء القراءة وعدم دقتها وضعف الهجاء.
- صعوبة تمييز الكلمات الفردية وربطها بالمعنى الصحيح.
- عدم مراعاة الوقت، ومفهوم الوقت.
- ضعف مهارات التنظيم.
- شعور الأطفال بالخجل والخوف من عدم القدرة على فهم الإشارات الاجتماعية في بيئتهم.
- صعوبة فهم التعليمات السريعة، واتباع أكثر من أمر واحد في وقت واحد أو تذكر تسلسل الأوامر.
- العجز عن التمييز بين المسافات والفواصل في الكلمات، وربما يكون غير قادر على

نطق الكلمات غير المألوفة بصورة صحيحة .

كيف يتم العلاج؟

يبيّن التشخيص التفصيلي نقاط القوة والضعف لدى الطفل ومن ثم ترتكز الخطة العلاجية على الإرتقاء بمستوى أداء الطفل وفقًا لمرحلته العمرية.

ولكي يستطيع الطفل تعلُّم القراءة والكتابة، ينبغي عليه التحكّم في الاستخدام الواعي للأصوات، ولا بد له من التعرّف على الكلمات في الجمل، وعلى المقاطع اللفظية في الكلمات وعلى الحروف في المقاطع، ومن ثم تمييزها وتخزينها في الذاكرة، ولا بد للطفل من استيعاب العلاقة بين الأصوات والحروف، وبين المقاطع اللفظية والكلمات، قبل أن يواجه صعوبات الكتابة الصحيحة طبقًا للقواعد النحوية ويتخطاها، أما التدريب على المفردات اللغوية وتدريس العلوم المستندة إلى قواعد فقد أثبتت فعاليتها للأطفال ابتداءً من الصف الثالث.

ولكن حتى أبسط عمليات التعلُّم يكون مصيرها الفشل إذا غاب الاستعداد الداخلي للتعلُّم ؛ لذا يتطلب الوضع النفسي العاطفي لهؤلاء الأطفال أكبر اهتمام علاجي ممكن، كما أنّ مفتاح تحسين قدرتهم على التعلُّم يكمُن في تقوية اعتزازهم بالنفس واستعادة ثقتهم بقدراتهم الخاصة.

برامج التدخل العلاجي:

يستقبل دماغ الإنسان المعلومات الواردة إليه عبرحواسه المختلفة، مثل: (النظر،السمع، الشم، اللمس والتذوق)، ومن ثم يقوم بتحليلها واستيعابها والتعامل معها بالاستجابات المناسبة، ويؤكد العديد من المختصين أن هؤلاء الأطفال لديهم اضطراب أو خلل في استقبال وتحليل هذه المعلومات، ومن ثم فهذه الحواس بحاجة إلى تنشيط وتحفيز لكي يتم تطوير أدائها .

التعريف:

يعرف هذا النوع الحديث من العلاج بمسميات عديدة منها: البيئة متعددة الحواس Multi Sensory Environment، والتحفيز متعدد الحواس المتحكم به، Controlled multisensory stimulation.

ويعد العلاج متعدد الحواس علاجا تأهيليا حديثا يتم داخل وحدة علاجية مصممة بدقة لتزويد الأطفال ذوي الإعاقة بخبرات حسية غنية ومتنوعة تعتمد على استثارة مجموعة من الحواس في نفس الوقت، أو التركيز على حاسة واحدة وفقا للفروق الفردية للأطفال، إذ يمكن إجراء تعديل وضبط على الأجهزة والأدوات المستخدمة كعلو الصوت، أوشدة الضوء، أودرجة الحرارة، أو تغيير في الملمس أو الرائحة داخل الغرفة لتناسب كل حالة، وقد خلصت نتائج الأبحاث التي أجريت في المعاهد الوطنية لصحة الطفل والتنمية البشرية إلى أن طرق التدريس متعددة الحواس هو النهج الأكثر فعالية خاصة مع حالات عسر القراءة والكتابة وهو يعني مساعدة الطفل على التعلم من خلال أكثر من حاسة في نفس الوقت، ويتم التدريس في معظم المدارس سواء باستخدام البصر أو السمع، ويستخدم الطفل البصر في قراءة المعلومات، ومطالعة الرسومات التخطيطية أو الصور، أو قراءة ما دُوِّنَ على السبورة.

ويستفيد الطفل من حاسة السمع في الاستماع إلى ما يقوله المعلم.

وربما يعاني أطفال الديسليكسيا صعوبات مع أي أومع كل من هذه الحواس، وربما يصعب عليهم تتبع الكلمات وتمييزها بصريا، وقد لا يعاني الطفل مشكلة سمعية وفقا لاختبارات السمع، وقد يعاني البعض منهم ضعفا في الذاكرة السمعية والمعالجة السمعية للكلمات المنطوقة، ويصعب على الأطفال المتعثرين قرائيا اكتساب اللغة المكتوبة، حيث يعانون تأخرا في تعلم القراء والكتابة منذ مراحل التعلم الأولى، ويصعب عليهم كذلك تعلُّم وحفظ الحروف الأبجدية، و قراءة الحروف بشكلٍ صحيح، أو تكوين جملٍ مفيدة وتتجلى أخطاؤهم القرائيةً في حذف

كلمات أو استبدالها أو قَلبها أو إضافة كلمات أخرى. ويحاوِل الأطفال جاهدين ويفشلون المرة تلوَ الأخرى، وغالبًا ما يفقدون الرغبة بالقراءة والكتابة ولا يحبون بعد ذلك الذهاب إلى المدرسة ويصبح حل الواجبات المدرسية في المنزل صراعًا يوميًا. إن الأطفال المتعثرين قرائيا لا يدركون سبب عدم تمكنهم من أشياء يُفلح الآخرون فيها بسهولة ثم أنهم غالبًا ما يجري إنذارهم ويمنحون علامات سيئة أو يتعرضون للسخرية أمام زملائهم الآخرين ويعانون من خيبة الأمل على مدى أسابيع وأشهر أو حتى سنوات إلى أن ينفد صبرهم وطاقتهم عاجلا أم آجلا، فتؤدي تجارب الفشل المستمرة هذه إلى شعور الطفل بعدم الثقة بالذات. علاوة على القلق والاكتئاب و قد يصاب باضطرابات جسدية نفسية مثل الصداع وأوجاع البطن والغثيان أو حتى التقيؤ.

إنّ ظاهرة عسر القراءة والكتابة موجودة في كافة اللغات المكتوبة في العالم بغض النظر عن الثقافة، وتشير الإحصائيات إلى وجود طفل أو طفلين يعانيان من اضطرابات في القراءة والكتابة الصحيحة في كل صفّ مدرسي، إلا أنهم لا يتحملون مسؤولية مشكلتهم، فهم ليسوا كسالى، وليسوا أغبياء، وكل ما هنالك أنّ دماغهم يعمل بأسلوب آخر ليس إلا.

من أهم أهداف التعليم متعدد الحواس:

إتاحة الفرصة للأطفال لتطوير وتحفيز حواسهم المتعددة من خلال ممارسة العديد من الأنشطة التي تعمل على إثارة عدد من الحواس في نفس الوقت مثل المقاعد المصنوعة من مواد وأقمشة خاصة تساعد على الاسترخاء، وأنابيب بلاستك مملوءة بفقعات الهواء الملونة بألوان زاهية.. وأسلاك والياف ضوئية مضاءة بألوان شديدة التنوع لتحفيز حاسة البصر.. وتحتوي كذلك على أدوات خاصة تعمل على حاسة الشم.. وأدوات تقوم بتسليط الضوء على السقف والجدران بألوان خاصة. وبتأثيرات ضوئية متنوعة إلى حد كبير لتحفيز حاسة البصر.

إضافة إلى ذلك هناك ألعاب وأجهزة تصدر أصوات خاصة متنوعة عند تحريكها أو الضغط عليها أو المشي فوقها وذلك لتحفيز حاسة السمع.

ما هي الأسباب؟

عكف علماء الأعصاب منذ عدة سنوات على دراسة أسباب عسر القراءة والكتابة حيث أثبتت نتائج أبحاثهم أنها تعزى إلى خلل وظيفي في الدماغ من جراء الوراثة أو بسبب أمراض حدثت في سنوات الحياة الأولى. وكانت اضطرابات النمو في السمع والنطق تُعَد لفترة طويلة أكثر الأسباب شيوعًا، أما اليوم فتولي نفس الأهمية لكل من قصور الذاكرة والانتباه، وضعف الإدراك البصري أو المهارات الحركية، وكثيرٌ من المصابين بعُسر القراءة والكتابة يعانون من مزيج من هذه الاضطرابات.

كيف يتم تشخيص الخللً؟

تشخيص عُسر القراءة يتضمن تقييم العوامل النفسية والتعليمية والطبية والمعرفية وتلك المتصلة بالحواس للمهارات التي تستقبلها. كما سيطلب الطبيب تاريخ الطفل الطبي والخاص بمراحل نموه الطبيعية، بالإضافة إلى تاريخ العائلة.

وقد يوصى الطبيب بالفحوصات التالية:

تقييم حاستي السمع والإبصار وحالة الأعصاب.

هذه التقييمات قد تساعد في معرفة أي اضطراب يعانى منه الطفل ويتصل بتعثره في اكتساب مهارة القراءة.

التقييم النفسي:

يوجه هذا النوع من التقييم لاكتشاف ما إذا كان الطفل يعانى من مشاكل اجتماعية أو من القلق أو الاكتئاب، تلك الاضطرابات التي تحد من قدرات الطفل.

تقييم المهارات التعليمية:

حيث يمر الطفل بالعديد من الاختبارات

التعليميــة لتحديد جودة قراءته والتي يحللها خبير متخصص في ذلك.

ويشمل التشخيص الجيد كافة جوانب تطور الطفل، أما تشخيص صعوبات التعلُّم على أنها قصورٌ في القراءة والكتابة الصحيحة وفقا للتصنيف الدولي للأمراض من قبل منظمة الصحة العالمية (الطبعة العاشرة للتصنيف الدولي للأمراض)، فيتحدد من خلال أساليب معياريةٍ لقياسَ الذكاء وقدرات القراءة والكتابة، وإذا تم العثورً في هذا السياق على إشارات تدل على قصور في الانتباه، أو الذاكرة العاملة، أو قُصور في إدراكً ما يُشاهد ويُسمع عندها تجرى اختباراتٌ نوعية أخرى للحصول على مزيدٍ من المعلومات، ويكتمل التشخيص السريري من خلالً إجراء اختبارات الشخصية والتطور، والتشخيص الرسمي لعُسر القراءة لا يقوم به إلا طبيب محترف مؤهل، مثل: أخصائي الأمراض العصبية، أخصائي الطب العصبي النفسي، طبيب أطفال تنموي، أو أخصائي علم النفس التربوي، ويشمل التقييم عمومًا اختبار القدرة على القراءة مع قياس المهارات الأساسية مثل اختبارات تسمية سريعة لتقييم ذاكرة المدى القصير ومهارات التسلسل، والقراءة Non-Word لتقييم مهارات الترميز الصوتي، ويتضمن التقييم أيضًا إجراء اختبار الذكاء لإنشاء ملف به نقاط قوة وضعف التعلم وغالبًا ما تشمل الاختبارات اختبار متعدد التخصصات لاستبعاد الأسباب الأخرى المحتملة لصعوبات القراءة، مثل ضعف الإدراك أو أسباب أخرى مثل مشاكل في الرؤية أو السمع، و قد تمكن فريق بحثي في قسم طب الأطفال بجامعة «ييل» الأمريكية من تحديد جين يسمي dcdc2 موجود في الكروموزوم البشري السادس يعتقد أنه المسؤول عن مرض «الديسليكسيا» الذي يعاني منه ملايين الأطفال والبالغين حول العالم.

كيف يمكن للآباء والأمهات تقديم المساعدة؟

يتعلم كل أطفال العالم القراءة والكتابة بسهولة أكبر عندما يتوفّر لهم مدخلٌ إلى اللغة وإلى الكتابة في أبكر مرحلة ممكنة من حياتهم، ويشكل الوالدان في هذا السياقً أهم قًدوة بالنسبة لأطفالهما، فالطفل أول ما يرى من الوجود منًزله وذويه فيتعرف ويتآلف مع حالهم وظروفهم المعيشية فترتسم في ذهنه أول صور الحياة وتتشكل نفسه المرنة القابلة لكل شيء .

وينبغي على الوالدين إذا لاحظا إشارات تدل على ضعف في تطور اللغة المكتوبة لدى طفلهماً ألا يتأخرا عن استشارة أخصائي للتحقق من الأمر ؛ لذلك يؤدي

مُجـرد تشخيص هـذا القصور غـالبًا إلـى تخفيف العبء عن الأطفـال وعـن الوالدين والمعلمين، كما أن تشخيص عُسر القـراءة والكتابة سببٌ للمطالبة بحق الحصول على إجراءات المساعدة في المدرسة، أي بما يسمى تعويض الضرر، وكلما كانت بداية العلاج أبكر زادت فرص نجاحه .

الديسليكسيا: ما الحل؟

هناك عدة طرق تساعد الطفل على التغلب على صعوبات القـراءة والكتـابة، ويتوقف الأمـر على شدة الحـالة ووقـت تشخيصها، فالتشخيص المبكـر وتـوفـير بـرامـج مسح لطلاب المرحلة التمهيدية (ماقبل المدرسة) وإعطاء الخدمات المساندة (سواء في المنزل أو المدرسة) يساعد على اكتساب مهارات للتغلب على تلك الصعوبات.

وأيضًا توفير مساندة عاطفية من قبل جميع أفـراد الأسرة، وعدم مقارنة الطفل بأقرانه في محيط العائلة، وتفهم حالته ورفـع ثقته بنفسه ، وكذلك توفير اختصاصي علم نفس في مدارس الأطفال يهتم بمقاربة الضغوط والإحساس بالفشل والإحبـاط التي يمر بها هؤلاء الأطفال.

لذا ينبغي التوجه إلى المراكز المختصة حيث الخبراء في مجالات صعوبات التعلم، ولديهم استراتيجيات طرق التدريس اللازمة، فهناك العديد من المناهج التعليمية ، وطرق تدريس لـذوي عسر الـقـراءة والكتابة وتهـدف هذه الإستراتيجيات إلى:

- «تعليم الطفل استعمال جميع حواسه»
- «التعلـم المنظـــم، وإعطـــاء المعلومات بجرعات صغيرة»
- «التعلم التراكمي وبناء المهارات تدريجيا»

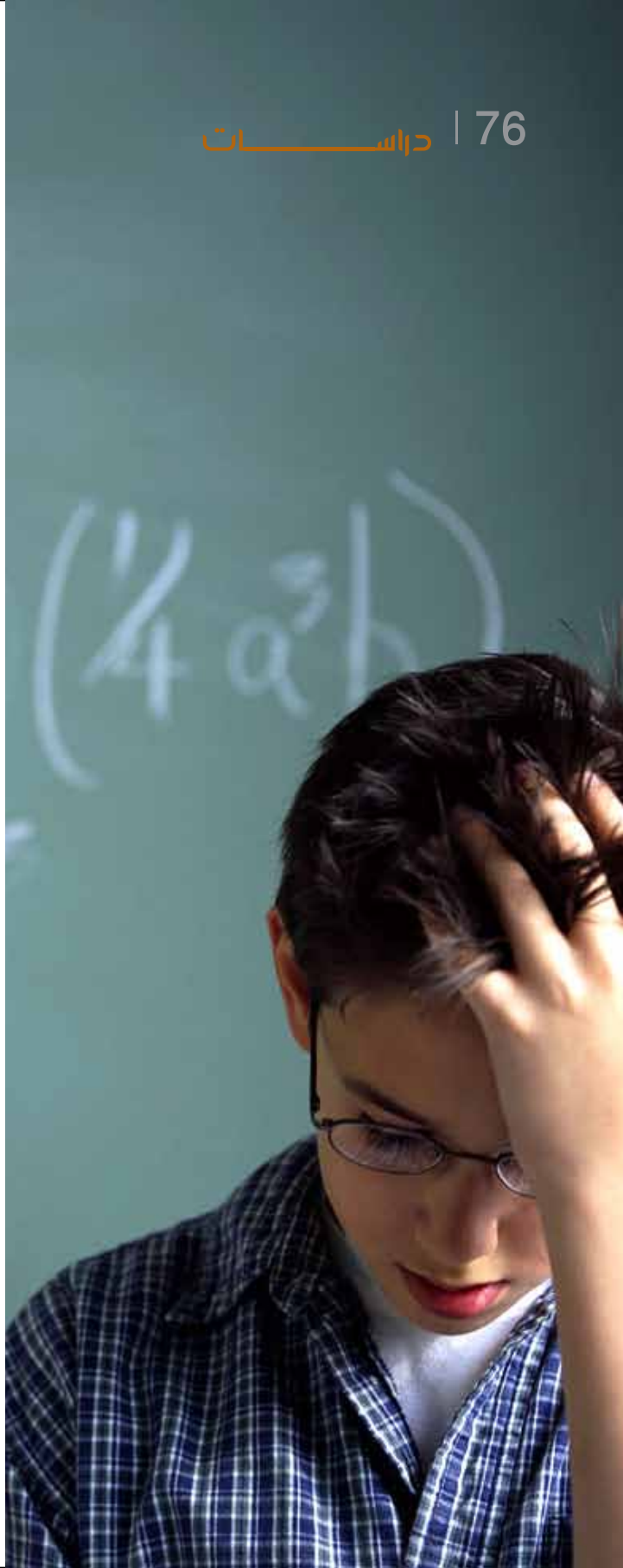

- «التعلم الشامل حيث المراجعة المتكررة، والتمكن من استخدام الحروف والأصوات الصحيحة والقواعد تلقائيا»
- «التعلم النشيط وعرض الدرس بأنشطة قصيرة ومتنوعة وشائقة»
- «التعليم بالصوتيات، حيث يتم التركيز على الأصوات التي تمثل الحروف بدلاً عن الحروف ذاتها.

وعلى أولياء الامور قبل مراجعة الطبيب المختص اعداد قائمة بما يأتي:

- حصر الأدوية التي يتناولها الطفل بما فيها الفيتامينات.
- كتابة الأسئلة التي يرغب الوالدان في سؤال الطبيب عنها.
- الأسباب التي تؤدى إلى صعوبة القراءة للطفل وفى تهجيه للكلمات؟
- نوعية الاختبارات التي يحتاجها الطفل؟
- هل يمكن علاج عُسر القراءة؟
- هل تتقدم الحالة سريعًا، أم تحتاج إلى وقت طويل من الزمن؟
- هل هذه الحالة وراثية ؟
- ما مستوى الأداء التعليمي للطفل في المدرسة ؟

إن معظم الأطفال المعسرين قرائيًا يستفيدون من التدريس الذي من سماته أنه يؤكد على العلاقة بين أصوات الكلام وقواعده، وحروف الكتابة تأكيدًا صريحًا يسمح بالمراجعة والوقت الكافي للممارسة العملية ومساعدة الأطفال على نطق الكلمات وقراءتها قراءة دقيقة، وإتمام المهام الخاصة بالتهجئة والكتابة مع استخدام الوسائط الحسية المتعددة لتعزيز المعلومة.

وفي الختام يجب أن نؤكد على أهمية بذل الجهد والعمل على إصلاح أطفالنا والنهوض بمستواهم والانطلاق بهم من جديد. إن الاهتمام بالأطفال ومدى استعدادهم للقراءة بدءاً من مراحل طفولتهم المبكرة واجب على الوالدين، فعن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم – يقول « كلكم راع و كلكم مسؤول عن رعيته: الإمام راع و مسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع و مسؤول عن رعيته.

المصادر

- http://onlyhealthtopics.info/dyslexia-causes-symptoms-and-treatment/
- http://boards.dailymail.co.uk/childrens-health/10233364-dyslexia.htmlhttp://www.medicinenet.com/dyslexia/article.htm
- http://kidshealth.org/kid/health_problems/learning_problem/dyslexia.html
- Birsh,Judith R.). «Research and reading disability». In Judith R. Birsh. Multisensory Teaching of Basic Language Skills. Baltimore, Maryland: Paul H. Brookes Publishing. 8 .ص. ISBN 978-1-55766-678-5.
- http://www.dyslexia.com/library/symptoms.htm
- http://www.dyslexia.com/library/symptoms.htm#ixzz3VZ8ADynn
- http://www.dyslexia.com/library/symptoms.htm#ixzz3VZ8LjBS7
- http://www.dyslexia.com/library/symptoms.htm#ixzz3VZ8ZYnWX
- http://www.dyslexia-teacher.com/t6.html
- http://www.cnn.com/2012/05/21/opinion/clinton-steyer-internet-kids/index.html
- Is the Internet hurting children?
- http://www.patheos.com/blogs/markdroberts/2012/05/17/is-google-weakening-your-memory-or-enhancing-your-curiosity-or-both/
- http://us.mg4.mail.yahoo.com/neo/launch?.rand=bkphpf4r2pl80

– جان بياجيه بين النظرية والتطبيق

– قراءات متنوعة في التربية الفكرية وصعوبات التعلم

السمنة وآثارها الضارة على صحة الجسم

أ.د. أحمد عبد الله ثابت

ينظر إلى السمنة على أنها تراكم كميات زائدة من الدهون لا ضرورة لها في الجسم، وهذه الدهون المتراكمة تشكل عبئاً على الجسم وخاصة على أعضاء أساسية فيه مثل القلب والعضلات، فمثلاً سيجبر القلب على ضخ الدم لآلاف الخلايا الدهنية الزائدة والتي لا ضرورة لها كما، ستتحمل العضلات الثقل الإضافي للدهون المتراكمة والزائدة، لذا ينظر إلى تراكم الدهون وزيادتها في الجسم كمؤشر لبداية مواجهة المشاكل الصحية ذات العلاقة بالدهون

فمثلا في الأنسجة الدهنية يتم بناء وتخليق هرمونات ستيروئيدية كالأستروجين Estrogenes وهذه الهرمونات محفزة لظهور نموات سرطانية في الثدي وبطانة الرحم عند المرأة في مراحل متقدمة من العمر (60←70 سنة) كذلك سرطانات المريء والكلى والمرارة والقولون والبروستاتا، كما أن الأنسجة الدهنية هي المكان الذي يخزن فيه المركبات المسرطنة التي تدخل الجسم من الخارج وأيضا تتكون فيه نتيجة تناول مركبات مسرطنة، والدهون الزائدة أيضا تأثيرها سلبياً على تمثيل المغذيات الأخرى الأساسية في الجسم كالكربوهيدرات والبروتينات.

وتنشأ السمنة من تناول مواد غذائية زائدة عن حاجة الجسم أي تناول سعرات حرارية مصدرها المواد الغذائية أكثر من تلك التي ينفقها الجسم واللازمة لأداء وظائفه ونشاطاته الحيوية المختلفة، فالزائد من السعرات الحرارية يخزن في الجسم على هيئة دهون خاصة إذا ما صاحب ذلك قلة الحركة، وعدم ممارسة النشاطات البدنية المختلفة.

يمكن معرفة حالة الشخص من حيث تراكم الدهون والسمنة في الجسم عن طريق معرفة دليل وزن جسمه (مؤشر كتلة الجسم) Body Mass-Index وهذا الدليل يمكن معرفته عن طريق قسمة وزن الجسم بالكيلوجرام على مربع طول الجسم بالمتر أي : = BMI

وينقسم الأشخاص من حيث البدانة والسمنة وبناء على هذا الدليل إلى خمس فئات هي:

- الفئة الأولى – دليل وزن أجسامهم عادة أقل من 20 وهؤلاء وزنهم قليل وتحت الوزن المرغوب فيه Under weight.
- الفئة الثانية – يتراوح دليل وزن أجسامهم ما بين 20←25 ويوصف هؤلاء بأن أجسامهم وزنها مثالي.
- الفئة الثالثة – يتراوح دليل وزن أجسامهم ما بين 25←30 وهؤلاء أوزان أجسامهم تزيد عن الوزن المثالي.
- الفئة الرابعة – يزيد دليل وزن أجسامهم عن 30 ويوصف هؤلاء بأنهم بدناء أو سمان obese.
- الفئة الخامسة – يزيد دليل وزن أجسامهم عن 40 وهؤلاء هم السمان جدا Severely obese.

والقيم السابقة لدليل وزن الجسم تستخدم كدليل عام وليست مؤشراً مطلقاً.

فمثلا أدلة وزن الجسم بقيم 27.8 للرجال و 27.3 للنساء ينظر لها كحدود عند تجاوزها يعتبر الشخص من فئة السمان في الولايات المتحدة الأمريكية.

ومن الأمراض المتوقع ظهورها بزيادة وزن الجسم الناتج عن تراكم الدهون (السمنة): أمراض القلب والأوعية الدموية مثل تلك المتعلقة بالشريان التاجي، والجلطة الدماغية، وضغط الدم المرتفع والذبحة الصدرية angina pectoris واضطراب نظم القلب Abnormal heart rhythm التي يمكن أن تسبب الموت المفاجئ، وكذلك الخلل في عمل البطين Ventricular arrhythmia وقصور

القلب الاحتقاني
Congestive heart failure.
كما أن السمنة سبب من أسباب ظهور مرض البواسير haemorrhoids والدوالي في الأوردة Varicose Veins وجلطات الأوردة Venous Thrombosis وانتفاخ الرسغ Swollen ankles والتهاب العظام في المفاصل والركب
Joints osteoarthritis knees وللسمنة أيضاً علاقة بنشاط الغدد المختلفة في الجسم، وظهور مرض السكر (النمط الثاني) ومرض النقرس gout وظهور حصى في المرارة gallstones وكذلك سرطانات الثدي والمبيض وعنق الرحم (Cervix) وبطانة الرحم، endometrium عند المرأة إضافة إلى سرطان المرارة، وعند الرجل إمكانية الإصابة بسرطانات البروستاتا والقولون والمستقيم.
ومن التعقيدات الأخرى التي تصاحب السمنة قلة الخصوبة عند المرأة، وعدم انتظام العادة الشهرية menstrual ومشاكل تصاحب الحمل، كما أن هناك زيادة الخطر على الشخص البدين في حال تعرضه لإجراء عملية جراحية في مرحلة التخدير، ويعاني الشخص البدين من صعوبة في الحركة السريعة، وزيادة إمكانية تعرضه للحوادث أثناء حركته إضافة إلى تأثيرات السمنة عليه اجتماعياً ونفسياً واقتصادياً.

من مسببات الأمراض السابقة:

- زيادة الليبيدات والدهون في الدم، ويشمل ذلك كوليسترول الدم والجليسيريدات الثلاثية وهذه لها علاقة بأمراض أوعية القلب، والأوعية الدموية، فعادة يعاني من يزيد دليل وزن جسمه عن 30 ضغط الدم المرتفع مقارنة لهؤلاء الذين دليل وزن أجسامهم يتراوح ما بين 20←25 ويرتفع ضغط الدم في كل الأعمار وللذكور والاناث بارتفاع دليل وزن الجسم.

- كمية هرمون الأنسولين المفرز من البنكرياس لا تكفي لتغطية حاجة آلاف الخلايا الدهنية الموجودة في الأنسجة الدهنية عند البدين، مما يؤدي إلى زيادة مستوى الجلوكوز في الدم، وظهور مرض السكر النمط الثاني وكثيراً ما يشار لهذه الظاهرة بالحساسية القليلة للأنسولين عند السمان حيث إن الأنسولين يفرز لكنه لا يكفي.

- نظراً لزيادة وجود الجلوكوز في الدم عند السمان فإن فرص تفاعله مع الهيموجلوبين الموجود في كرات الدم الحمراء في الدم ستكون كبيرة، وتظهر نسبة مرتفعة من الهيموجلوبين الذي حدث له ارتباط مع الجلوكوز (glycosylated) وهذا النوع من الهيموجلوبين الذي حدث له تفاعل وارتباط مع الجلوكوز تأثيره ضار على الأوعية الدموية، وهذا واضح عند الأشخاص الذين دليل وزن أجسامهم أقل من 20 فمستوى الهيموجلوبين المرتبط مع الجلوكوز عندهم أقل مما هو عند البدناء.

- زيادة نسبة حامض اليوريك الناتج من هدم القواعد الأزوتية في بلازما الدم، وهذا هو سبب ظهور مرض النقرس وأعراضه آلام في المفاصل بسبب تكوين بللورات حامض اليوريك في المفاصل وهي بللورات شحيحة الذوبان في الماء كذلك تكوين الحصى في المرارة الناتج من ترسبات الكوليسترول ومشتقاته الشحيحة الذوبان في الماء أيضاً.

- زيادة مستوى بروتين الفيبرينوجين Fibrinogen في الدم عند البدناء وزيادة هذا النوع من البروتين في الدم يعتبر مؤشراً لميل الدم للتخثر وتكوين الجلطات Thrombosis في الأوعية الدموية.

ويمكن بتقليل الوزن والوصول إلى الوزن الملائم والسليم للجسم، ودليل الوزن الصحيح معالجة أمراض ضغط الدم، ومرض السكر النمط الثاني، ومرض النقرس إضافة إلى التخلص من النظرة الاجتماعية للسمان، ولو أن الكثير من الناس ينظر إلى السمنة بأنها وجاهة وعلامة الراحة ويسر الحال إلا أن الحقيقة غير ذلك فالسمنة الناتجة عن تراكم الدهون هي مؤشر للزيادة والإفراط في تناول الطعام وقلة الحركة، هذا إن لم يكن السبب وراثيا وله علاقة بأنواع الأنسجة الدهنية وأعداد الخلايا فيها، وقابلية هذه الأعداد للزيادة في العدد والحجم وتأثير الغدد والهرمونات ذات العلاقة على ذلك.

هل كل دهون الجسم متساوية الخطورة على الصحة؟

لقد بينت دراسات في هذا المجال أن مواقع تواجد الدهون وتوزيعها في الجسم يمكن أن يكون دليلاً على مدى الخطورة التي يمكن أن تسببها هذه الدهون على الصحة، ومن المؤشرات التي يمكن عن طريقها الاستدلال على الخطورة المتوقعة معرفة نسبة بالسنتيمتر فإذا كانت هذه النسبة أقل من 0.8 عند المرأة وأقل من 0.9 عند الرجل لدليل كتلة جسم مقداره 27 فإن الدهون لا تشكل خطراً على الصحة، أما اذا كانت النسبة أكثر من ذلك للأشخاص الذين دليل كتلة أجسامهم 30 فإن الدهون ستشكل خطراً على صحتهم مقارنة بمن كتلة أجسامهم 30 أيضاً لكن نسبة بالسنتيمتر أقل من النسب السابقة الذكر.

نسبة بالسنتيمتر وارتفاعها تعتبر مؤشراً لكمية الدهون المترسبة في منطقة البطن ودليل على زيادة الوزن الناتج عن تراكم الدهون، وزيادة الدهن في منطقة البطن تؤهل الشخص للإصابة بمرض السكري (النمط الثاني) إضافة إلى إصابته بأمراض القلب المختلفة، ومتوسط نسبة بالسنتيمتر قيمتها عند الرجال أكبر مما هي عند النساء، وتميل هذه النسبة إلى الارتفاع بتقدم العمر عند كلاهما.

ويزيد الخطر على الصحة إذا ما صاحب السمنة زيادة في قيمة نسبة بالسنتيمتر وعادة ما يظهر شكل الرجال الذين عندهم هذا النوع من السمنة كشكل حبة التفاح apple – shaped.

أما إذا كانت النسبة السابقة منخفضة والشخص سمين فإن السمنة في هذه الحالة يكون خطرها أقل، وتظهر أشكال النساء بالصفات السابقة كشكل حبة الكمثرى pear – shaped ومن العوامل التي تزيد من نسبة

بالسنتيمتر قلة الحركة، والتدخين، وتناول الكحول بكمية كبيرة، علماً أن التدخين وتناول المخدرات من الأمور التي حرمتها الشريعة الإسلامية السمحة.

أسباب ظهور السمنة:

- يعتبر الغذاء وجينات الإنسان والظروف البيئية التي يعيشها من أهم العوامل التي تتحكم في ظهور السمنة من عدمها، فالإنسان في ظروف وفرة الغذاء والراحة واستجابة جينات معينة في منظومته الوراثية يتناول كمية كبيرة من الغذاء، وهذا يؤدي إلى السمنة الزائدة وما يؤكد ذلك أن كثيراً من الناس الذين عاشوا ظروفا صعبة في حياتهم المبكرة من قلة التغذية والجوع أحياناً تبرمج أجسامهم ليصبحوا سماناً إذا ما أتيحت لهم ظروف المعيشة الرغدة ووفرة الغذاء والمال.
- من الملاحظ زيادة السمنة عند الكثير من الأشخاص في المجتمعات الغربية بسبب نوع الأغذية المتناولة التي تتميز بارتفاع كمية الدهون فيها إضافة إلى الراحة وقلة النشاط البدني عندهم، ومعروف أن زيادة تناول الدهون يؤدي إلى السمنة في أغلب الأحوال للأسباب التالية:
- احتواء الدهون من الطاقة ضعف ما تحتويه المركبات الكربوهيدراتية والبروتينات المساوية لها في الوزن التي تدخل الجسم.
- الدهون المتناولة عن طريق الأغذية والزائدة عن حاجة الجسم تتحول إلى دهون ترسب فيه بكفاءة مرتفعة، وما يضيع من طاقة الدهون في عملية التحول لا يزيد عن 4% من الطاقة الموجودة مقارنة بطاقة التحول للكربوهيدرات الزائدة عن حاجة الجسم إلى دهون التي تقدر بحوالي 25% من الطاقة الكلية للكربوهيدرات، وكذلك طاقة التحول للبروتين الزائد إلى دهون حيث يبدد الكثير من الطاقة لهذا الغرض.
- وجود الدهون في الأغذية المتناولة يزيد من استساغتها والقابلية لتناول المزيد منها، وتأثير الدهون المحفز للشبع عند الانسان أقل من تأثير الكربوهيدرات.
- تناول الأغذية الغنية بالنشويات والألياف الغذائية وقليلة الدهون سيحد من ظهور السمنة وسيحفظ وزن الجسم سليماً.

عوامل تقليل السمنة:

هناك مجموعة من الخيارات يمكن اللجوء اليها من أجل تقليل السمنة أو تخفيض وزن الجسم فإضافة إلى الالتزام بالحد من تناول الأغذية الزائدة عن حاجة الجسم والتقيد بالموازنة بين السعرات الموجودة في المواد الغذائية

المتناولة والسعرات المنفقة في الجسم لأداء نشاطاته المختلفة.

هناك ثلاث طرق يمكن السير فيها من أجل الحد من السمنة الزائدة والمهددة للصحة هي:

- تناول أغذية خاصة قليلة الدهون ومرتفعة الألياف الغذائية.
- العلاج بالأدوية.
- العلاج بإجراء العمليات الجراحية.

فمن ناحية التغذية يجب تناول أغذية قليلة الدهون كالحليب قليل الدهون واللحوم الخالية من الدهون والأسماك والبقوليات والخضراوات والفواكه والبطاطا والحد من تناول اللحوم المشبعة بالدهون وتقليل تناول منتجات الألبان والأغذية المقلية.

أما الأدوية فتستخدم أدوية كابحة لشهية الأكل وتؤدي في المراحل الأولى من استخدامها إلى عدم تناول الأغذية بكمية كبيرة، وهذا يؤدي إلى قلة الإمداد بالطاقة مما سيجعل الجسم مضطرا لهدم الجليكوجين المخزن في الكبد من أجل الحصول على الطاقة، وهذا يؤدي إلى نقص كبير في وزن الجسم؛ لأن هدم الجليكوجين وفقده وكذلك البروتين يصاحبهما فقد ماء مرتبط بهما أيضا فكمية الماء المصاحبة لكل كيلوجرام جليكوجين أو بروتين مثلا تقدر بحوالي 3 كجم أو أكثر من الماء، وهنا نذكر أن النقص المرغوب فيه يجب أن يكون في كمية الدهون وليس في بروتينات عضلات الجسم والأنسجة الرقيقة الأخرى والهامة جداً من النواحي التمثيلية.

وتؤثر الأدوية الكابحة للشهية على الناقلات العصبية ذات العلاقة بتنظيم أخذ الغذاء من عدمه في مركز الدماغ مثل دواء Amphetamine الذي يؤثر على هرمون النورابينيفرين Norepinephrine ودواء Fenfluramine،

وDexfenfluramine التي تقوي من نشاط هرمون السيروتونين Serotenin وتزيد من تأثيره على الخلايا العصبية، وهرمون السيروتونين من الهرمونات التي تعمل على تحفيز الشعور بالشبع، كما يستخدم دواء Sibutramine الذي يؤدي وظيفة النورابينفرين والسيروتونين.

وتستخدم أدوية أخرى لتخفيض الوزن وللتخلص من السمنة عن طريق تقليل هضم وامتصاص المادة الغذائية الدهنية في الأمعاء الدقيقة، مثل استخدام دواء Orlistat الذي يثبط عمل انزيم الليبيز المحلل للدهون والقادم من البنكرياس إلى الأمعاء الدقيقة.

واستخدام الدواء السابق يعمل على إعاقة هضم ما يقارب 30% من الدهون الغذائية وتمر هذه الدهون بدون هضم في الأمعاء وتخرج مع البراز ومن الأدوية المستخدمة أيضا تلك التي تثبط هدم هرمون Cholecytokinin الذي ينفرد في القناة الغذائية عند تناول الغذاء ويحفز الشعور بالشبع ويكبح تناول المزيد من الغذاء، ومن هذه الأدوية مركب butabindide والذي وجد أنه عند استخدامه في حيوانات تجارب يؤدي إلى تقليل أخذها للغذاء ونقص وزنها.

ومن العيوب والأخطار التي صاحبت استخدام الأدوية

السابقة وظهرت في حالات تقليل الوزن والتخلص من السمنة لأشخاص في كثير من الدول الأوروبية وأمريكا تلف صمامات القلب، وهذا أدى إلى سحب الكثير منها من السوق وعدم استخدامها.

ويتم اللجوء إلى الطريق الثالث من أجل التخلص من السمنة كأسوأ الخيارات وفي حالات السمنة المفرطة وهو إجراء العمليات الجراحية ومنها:

- إزالة جزء كبير من المعدة بعملية جراحية Gastric Stapling لغرض تقليل كمية الغذاء الذي يتناوله البدين، وإذا ما أخذ كمية زائدة عن سعة المعدة بعد إجراء العملية الجراحية فسيتم تقيؤها.
- منع وصول الغذاء الصلب عن طريق الفم إلى القناة الغذائية، والسماح فقط بوصول السوائل عن طريق ربط الفكين في الفم بأسلاك معينة.

بغرض تقليل الأغذية الصلبة التي ستصل إلى الجسم بمقدار كبير.

- التخلص من دهون الأنسجة الدهنية عن طريق قطع أو شفط الدهون Liposuction من مساحات في الأنسجة الدهنية.
- إزالة جزء كبير من الأمعاء الدقيقة بعملية جراحية، مما يقلل عمليات الهضم وامتصاص الغذاء، وفي هذا النوع من المعالجة يعاني البدين من إسهال مزمن، ونقص في المغذيات وحالات من تلف الكبد والكلى.

كما يمكن التخلص من تراكم الدهون في الجسم بتناول وجبات تجارية منخفضة الطاقة جداً Very low-energy diets وهي وجبات تحتوي على الفيتامينات والمعادن الأساسية في التغذية، وعادة ما تمد الجسم بكمية من الطاقة مقدارها 400←800 كيلوكالوري/يوم، وهي كمية من الطاقة أقل بكثير مما يلزم الشخص العادي في اليوم الواحد، والتي تقدر بحوالي 2300 كيلوكالوري / يوم.

وعادة ما تباع هذه الوجبات على هيئة مشروب له نكهة محببة ومكون من حليب منزوع القشدة ويضاف له الفيتامينات والمعادن اللازمة.

واستخدام هذه الوجبات ولفترة من الزمن يؤدي إلى تقليل الوزن، وهي حمية مضبوطة يواجهها البدين، وعند الكف عن تناولها والرجوع إلى نمط التغذية قبل ممارسة هذا النظام سيرجع وزنه إلى حالته الأولى.

من عيوب ومخاطر استخدام الوجبات التجارية السابقة المخفضة للوزن ظهور الأجسام الكيتونية الحامضية في الدم، وهذه الأجسام والجزيئات خطرة جداً على الصحة، لذا ينصح أن يكون تناول مثل هذه الوجبات تحت إشراف طبيب مختص.

الْمَلِكَـــــة

محمد عباس علي داوود

هبطت السلم متَمهلة.. حاملة هم هذا العنَاء الَذي لابد منه.. ابنَتها كانت تبكي.. عيناها الصغيرتان كان فيهما دعر.

عم عاشور عاوز يأخذ ماما.. السلم عال.. انحناءاته متعبة.. استندت على الدرابزين الخشبي.. علا أنينه تحت ثقل جسدي.. أخذ أمها إلى أين؟

حاذرت وأنا أنقل قدمي وسط الضوء الأصفر الشحيح إلى أسفل.. الحاجة كريمة زوجتي قالت: المعلم عاشور صاحب محل الجزارة المجاور للبيت.. رغم أنه جارنا لا أشتري منه.. طريقته لا تعجبني.. ارتفع مواء قطة تحت قدمي.. حاذرت حتى لا أتعثر فيها وتوقعني.. أخذت نفساً عميقاً بعد هبوط الدرجة الأخيرة، ورؤية الأرض تبسط تحت قدمي.. وقفت أدير وجهي في المكان حولي.. الفناء الواسع الذي لا يهدأ فيه وشيش بوابير الجاز.. اللمبة الصغيرة التي تعلو الحجرة الوحيدة في الفناء بلونها الأصفر المغطى بالأتربة والغبار، والتي تبدد وحشة المكان، وأخيراً وإلى اليمين العربية الخشبية الصغيرة التي تحمل قدرة الفول كل صباح.. مضيت متمهلاً نحو الحجرة.. ما الذي يريده عاشور منها؟ دققت الباب.. فتحت ابنتها.. المكان عبارة عن حجرة صغيرة للمعيشة، تفضي إلى حجرة أخرى على اليسار، هي بالتأكيد للنوم، بينما إلى اليمين المطبخ والحمام.. هبت فاطمة من جلستها على الأريكة المواجهة للباب مرحبة، وقام عاشور الذي كان يجلس على مقعد بجوار المائدة الصغيرة إلى يسار الباب مسلماً: أهـــلاً يـــا حـــاج.. عاوزينك تحضرنا في موضوع.

نقلت نظراتي بينهما.. فاطمة عادت إلى جلستها على الأريكة، وقد أحاطت أولادها بيديها، بينما عاد هو إلى مقعده. جلست إلى يمينه وأنا أهمس: خيراً إن شاء الله.. قالت محتجة: تعال شوف يا حاج.. وهي تشير بعجـــب إليـــه.. دافـــع قائلاً: عاوزك في الحلال يا بنت الناس..

باغتني الأمر.. كان المقعد متهالكاً.. بذلت مجهوداً لأوازن جسدي عليه.. اتجهت إلى الوجه المكتنز بعينيه الصغيرتين.. تركته إلى يده البضة المتخمة باللحم، المزينة بالخاتم الذهبي المحشور بأحد أصابعها الجاثم على المائدة، مما يجعلها كلما هزها تصدر أنيناً خافتاً.. ارتدت نظراتي عنه إلى فاطمة، أخذت أحدق في الوجه وأعجب.. كيف هذا؟ صورتها في خاطري وهي تقف أمام عربتها الخشبية الصغيرة، المغرفة في يدها، والقدر فوهته أمامها، والفول حبات ناضجة رائقة اللون، تشع منها البهجة، تدعو المارة بشكلها ومذاقها إلى الإحاطة بالعربة، وإلى جوار هؤلاء ابتسامة واثقة، كبرياء فطري، ولمعة عينين بلونهما العسلي الرائق وهي تنظر إليك فتزيد الجمال بهاءً وحسناً.. الآن أبحث عن هؤلاء.. لا أجد شيئاً.. لا أجد حتى فاطمة نفسها.. التي أمامي صورة جديدة لامرأة أعرفها.. صورة لأول مرة أعاينها.. وجه مرهق السمات.. حتى كلماتها فقدت مرحها.. فقدت انطلاقتها.. لم تعد تزغرد في الهواء وهي تنطلق من فمها وسط الحارة. قال الرجل الغليظ الوجه بصبر نافذ: قل شيئاً يا حاج.. هززت رأسي بتؤدة وأنا انتبه ربما للمرة الأولى إلى صدره المرتفع تحت الجلباب الأزرق، بفتحته التي يبدو منها صدره الأبيض المنتفخ الجانبين.. عدت إليها.. جسدها بالنسبة له صغير..

كيف يتزوجها؟ مر بخاطري ما قاله البعض عنها ممن يحيطون بها في الحارة، أويجلسون إليها وإلى زوجها في المساء، أن لهوها كان بريئاً، ليس وراءه إلا روح مرحة لامرأة هدها مرض زوجها، فقامت تحمل عنه حمله ببسمة تخفي وراءها الكثير، تضحك أمام عربتها تعابث هذا وتضحك مع تلك لتروج بضاعتها.

الحقني يا حاج من متاهة الشرود انتبهت على صوتها، وعاد وجهها يلوح لي.. عيناها مشرقتان بالدموع.. لا اعرف لماذا لم أتخيل هذه العيون تبكي من قبل، صغارها حولها – مازالوا – تضمهم تحت جناحيها، والرجل يجلي أمامها، عيناه الصغيرتان تتجهان إلي.. يعاود الإلحاح: احضرنا يا حاج.. حاول تقنعها.. أنا عاوز أريحها.. أسندها وأرعى أولادها.. قلت بحيرة وأنا أنقل نظراتي بينهما: أعرف الموضوع أولاً.. قالت ابنتها بحدة: يريد الزواج بماما.. اتجهت إليها.. نكست رأسها وشدت الغار إليها أكثر.. وجهها المغسول بالدموع جفت نضارته وشحب لونه، إن كانت تبدو في جلبابها الأسود هذا فاتنة الملامح رقيقة التعبير..

يحق لها أن تتزوج.. لكن أولادها!!

عدت للمعلم الذي كان يحدق في وجهي متفرساً بعينيه الصغيرتين.. وجهه المكتنز يكاد الدم يثب منه.. فمه الواسع بشفتيه الغليظتين يدل على نهم.. أخذ يهز رأسه الحليق ليؤكد ما قالته ابنتها.. لاحظ صمتي.. عاد يلح: ماذا قلت يا حاج؟ قلت وأنا أتوجه إليها: القول لفاطمة.

رأيت عينيها تلتمع حدقاتهما بدمع حار وهي تقول محتجة: لا يا حاج.. الرجل لم يمر عليه عام وأفكر في غيره؟! شعرت بارتياح لقولها.. لا أعرف لمَ.. رأيتني أميل لرأيها.. أنظر إلى عاشور هذا.. لو كنت امرأة لخشيت منه.. غير أنه لم يستسلم.. ضربت يده البضة بالخاتم الذهبي المحشور بإصبع منها، وهو يردد محدقاً في وجهي بلهجة لَوْم حادة: وبعدين يا حاج؟

كان وشيش الوابوريخبو صوته كلما علا صوت عاشور.. استدرت لفاطمة التي التحمت بأولادها.. تذكرت قول زوجتي يوماً وهي تراها أمام عربتها، جسدها المتلئ يعبر عن نفسه بعظمة، وثدياها يرتفعان في شموخ، ووجهها بجبهتها العالية، واستدارة أبعاده بالفم الباسم في تحفظ، بالعينين ذواتي البريق الحاد والمقتحم: تصلح ملكة..

اتجهت بعيني يومها إلى زوجها الجالس هناك بجوار باب البيت لأعمل له إلا رد سلام المارة.. قلت: هي فعلاً ملكة.. لها رعيتها.. لكن!! وصمت.. أردت أن أكمل أن هناك من يقول إنها عاشقة لعاشور الجزار.. تأخذ ما تريده منه.. عوضاً عن زوجها العاجز نحوها.. غير أني آثرت الصمت.

هب عاشور رافعاً يده الغليظة في وجهها: يا بنت الحلال أولادك محتاجون إلى رعاية وأنت محتاجة إلى سند.. وأنا أريدك بشرع الله. ازداد وجهها انفعالاً.. اكتسى الشحوب بحمرة طارئة بينما بدا عسل العينين باهتاً لا لمعة له.. صدقت زوجتي تصلحين ملكة.. لكن حزينة.. أشاحت بيدها: حينما أحتاج سألجأ إليك.

استدار حانقاً إلي: ما تتكلم يا حاج.. حاول معها.. أراك ساكتاً محتاراً عدت إليها.. شدَّ انتباهي على الجدار فوق رأسها وجه زوجها الباسم.. كانت ابتسامته مؤطرة بشريط أسود.. بينما نظراته تحيط الغرفة ومن فيها.. تذكرت ما حدث منذ شهور عدة حينما صحت الحارة على صراخ فاطمة وعويلها: الرجل مضى وتركني.. ترك لي الهم.. تركه لي وحدي.. همست إحدى الجارات ارتاحت منه.. اعترضت أخرى.. يا أختي ظل رجل..

بعدها احتجبت فاطمة لا تخرج بالعربة أياماً، ثم خرجت امرأة أخرى، تقف أمام عربتها صامتة، حتى نداؤها المعتاد الذي ورثته من أيام زوجها: أحلى من اللوز يا فول نسيته، فاذا اضطرت للابتسامة ابتسمت، إلا أن ابتسامتها لم تعد كما كانت قبل.

يا بنت الناس.. لآخر مرة.. أنا شاري وأريد صالحك.. أنت صغيرة.. كفالك شقاء.. دعيني أتحمل عنك.. أنت لم تخلفي للبهدلة.. قلت معترضاً استرساله: انتظر يا معلم.. وأنا أحدق في عينيه الصغيرتين على ضوء اللمبة الصفراء، الذي يحيطنا بخيوطه التي لا تبين، ثم اتجهت إلى فاطمة منهياً الحوار: فاطمة.. ماله المعلم عاشور؟

نظرت إلي في لوم وقالت عاتبة: لأجل خاطري.. لا تحادثني في هذا الموضوع..

عدت أسألها: هل نعطيك وقتاً للتفكير؟

هزت رأسها نفياً وهي تؤكد: لا.. لقد اقترنت بأولادي وانتهى الأمر.

أدرت وجهي إليه.. وجهه المكتنز رأيته محمراً، بينما ضاقت عيناه وقطب جبينه وهو يقول بحدة: أنت الخاسرة وأحنى رأسه على صدره ودفع الباب ومضى.. علا فجأة وشيش الوابور.. قمت مستأذناً.. من بين دموعها المتحجرة في المأقي نظرت إلى ممتنة وقد عادت ابتسامة تزين شفتيها.. ابتسامة رغم شحوبها إلا أنها كانت بازغة من عسل العينين كلها بهاء.. وإن كانت أكثر وقاراً عن ذي قبل.

شعر: عيسى القطاوي

سر السعادة للفتى أوطانه

شاعر فلسطيني يعمل حالياً بالمملكة العربية السعودية.

وعشقت كل المجد في ناديها ... أحببتها، كالزهر في واديها
أهلي هناك، وكلنا راعيها ... وعشقت كل الناس في تلك الربى
مسرى النبوة، ديننا بانيها ... تاريخها عبق الفخار، وأرضها
تحيا هنا، لا عاش من يلغيها ... آمالنا، آلامنا، أحلامنا
رسم الطريق لمُقبل يحييها ... والحاضر المسكون بالماضي الذي
والنفس لا ترضى بما يشقيها ... سر السعادة للفتى أوطانه
في جانبيه، وقصتي يرويها ... كم منزل في الأرض داعبني الهوى
والحب أهداني المنى، لأتيها ... وألفت فيه الصحب بل عشت الرؤى
أرضي الحبيبة، ساحرٌ ما فيها ... لكنني لا أرتضي وطناً سوى
للأرض تدنيني، فلا أسلوها ... وتطوف بي دوماً تباريح الجوى
والقدس تدعوني، أنا أفديها ... حيفا، جنينٌ، والخليل وغزة
مجد يسربل أرضها يكسوها ... محبوبتي يافا، وحطينُ هنا
أمل يزيل كآبة، يمحوها ... فاهنأ بحبك يا متيم إنه
للقلب تطربه، فلا يقصيها ... فهي التي كتبت أناشيد المنى
على أغاني عودة تحدوها ... حيفا هناك تطل من خلف البحار
في حضن كرملها الذي يعلوها ... وتنام تحلم بالحياة عزيزة
وإذا الهوى في لحنه حاديها ... فإذا الأناشيد البديعة دونها
هزم الغزاة، وسورها يحميها ... عكا تنام بحضن بحر هادر
من مجدها، ولحقبة تمحوها ... واليوم تحلم بالرجوع لحقبة
حسناءُ، غالٍ مهرها، نغليها ... بلدي فلسطين، وتلك عروسة
رأتيتها أهفو إلى ماضيها ... إني صلاح الدين من خلف العصو
فالبدر سوف يضيئها، يزهيها ... إن كان ليلٌ طال في أرجائها
فالخير في أبنائها، يدعوها ... إن كان في الزمن الرديء تواطؤٌ
سرقت، وبئس أرذال سرقوها ... لتعود أرض للأحبة بعدما
ويجيء فجر بعده يجلوها ... فيزول ليل طال في أرجائها
يسعى لنيل كرامة يرجوها ... هذي أمانيُّ الفلسطيني الذي
يا رب هذي دعوتي أدعوها ... فاختم بتحرير البلاد حياتنا

ندوة البحث العلمي.. الواقع والتطلعات

مبارك سعد العطوي

ضمن مساعي جائزة يوسف بن أحمد كانو للمساهمة والشراكة مع القطاعات العلمية والثقافية في التواصل والبحث حول القضايا والموضوعات التي تحمل معها هموم المواطن العربي، وكذلك لغرض النهوض بمكانة وعطاء الأمة العربية في المجالات التنموية والعلمية والحضارية نضمت مجلة كانو الثقافية ندوة علمية متخصصة بعنوان «التقدم العلمي في العالم العربي.. الواقع والتطلعات» .

بقاعة يوسف بن أحمد كانو في بيت القرآن بالعاصمة المنامة وشارك فيها مجموعة من أساتذة الجامعات الوطنية بمملكة البحرين.. حيث احتوت الندوة على المحاور التالية:

- تكنولوجيا المعلومات
- إمكانية المشاركة العربية بالساحة العالمية بإنتاج هذه التقنية والمنافسة فيها!!
- البحث العلمي
- إمكانية تطوير الواقع الحالي للبحث العلمي، ومدى العناية به عربيا.
- دعم الحكومات العربية من أجل إيجاد نهضة علمية حقيقية في البلاد.
- أخلاقيات البحث العلمي
- حقوق العلماء العرب في إجراء البحوث العلمية وإنتاج الإبداع الأدبي والفني والثقافي والدعم الكافي لهم .
- المساواة بين الباحثين بغض النظر عن الجنس والمعتقد والمكانة الاجتماعية.
- آليات البحث العلمي
- آليات البحث العلمي الكفيلة بإنتاج نهضة علمية عربية.
- مجالات البحث العلمي
- تحديد بعض المجالات التي تدعم الارتقاء بالبحث العلمي في الوطن العربي.

يذكر أن سعادة رئيس مجلس الأمناء السيد عبد العزيز جاسم كانو افتتح الندوة بكلمة ضافية في حضور عدد من أعضاء المجلس وستقوم مجلة كانو الثقافية بإعداد موضوع متكامل بوقائع هذه الندوة.

حملة توزيع كتاب أزمة المياه في الوطن العربي

ضمن برنامج الجائزة للترويج عن الأعمال الفائزة وكذلك إنطلاقاً من استراتيجيتها في نشر هذه الأبحاث والأعمال وإرسالها للمختصين وأصحاب القرار في الوطن العربي من الهيئات العلمية والبحثية والجهات الرسمية بغرض الاستفادة من نتائج هذه الدراسات والآراء العلمية التي من شأنها الارتقاء بمستوى الأعمال وكذلك للمساعدة في توفير المعلومات لواضعي السياسات التنموية في الموضوعات التي تطرحها الجائزة في كل عام.

فقد وجه سعادة رئيس مجلس الأمناء السيد عبدالعزيز جاسم كانو خطاباً مع نسخة من كتاب أزمة المياه في العالم العربي للباحث والمفكر المصري الدكتور محمد مرسي محمد مرسي من جمهورية مصر العربية من أجل الاستفادة من هذا البحث الهام والنتائج والمقترحات التي أوصى الباحث بها من أجل المحافظة على هذه الثروة الطبيعية الهامة، وتلقى سعادته الكثير من خطابات الشكر والتقدير لهذه الأعمال المميزة والأبحاث الرائدة في مجال العلوم وعلى ما احتواه الكتاب من تحليل وآراء ذات قيمة.. مثمنين جهود سعادته وجائزة يوسف بن أحمد كانو في رفد الأعمال والحراك الثقافي والعلمي في الوطن العربي.

ووعد سعادته باستمرار هذا النوع من الأبحاث والدراسات العلمية والثقافية للنهوض بالإنسان العربي وتنميته في جميع مجالات المعرفة .

اعتماد الأعمال المشاركة في الدورة السابعة ٢٠١١م

اجتمعت لجنة التنسيق والاختيار بجائزة يوسف بن أحمد كانو بمقر الجائزة وقامت بمراجعة وفرز المشاركات المتنافسة على الجائزة بدورتها السابعة.

وقد تلقى المكتب التنفيذي للجائزة (49) مشاركة نافست في مجالات الجائزة الثلاثة حيث كانت الموضوعات لهذه الدورة كالتالي:

- مجال الثقافة الإسلامية:

قضية النهوض والمشاركة التنموية بين الدول الإسلامية

- مجال المال والاقتصاد والأعمال:

التكامل الاقتصادي العربي (مجلس التعاون لدول الخليج العربية نموذجاً)

- مجال الأدب:

أدب الطفل في العالم العربي وقد شهدت المشاركة زيادة في عدد النساء من الباحثات مقارنة بالدورات السابقة.

حيث تقدم عدد (8) نساء من جمهورية مصر العربية ومملكة البحرين. كما شكلت جمهورية مصر العربية المشاركة الأعلى في هذه الدورة بالنسبة للرجال والنساء.

وسوف تقوم اللجنة بعد إنهاء عملية المراجعة والمطابقة والفرز بتحويل الأعمال المستوفية للجان التحكيمية خلال الأيام القليلة بعد اعتمادها من مجلس الأمناء.

برنامج الاحتفال لتكريم الفائزين بالدورة السابعة ٢٠١١م

وجه رئيس مجلس الأمناء السيد عبد العزيز جاسم كانو المكتب التنفيذي للبدء في إعداد البرنامج الخاص بحفل التكريم لفائزي الدورة السابعة (2011م). وكذلك متابعة الأعمال والتنسيق مع لجان التحكيم وإعداد المقترحات حول برنامج الاحتفال لهذا العام.

وأعرب في ختام تصريحه عن سعادته للمشاركة النوعية في هذه الدورة والتي حملت معها أسماء العديد من الباحثين والمفكرين في المجالات الثلاثة التي طرحتها الجائزة..

وتمنى للجميع التوفيق وتقديم الأبحاث الجادة والمتميزة في هذا الفضاء العلمي المفتوح للمفكرين العرب.